

من المسرح العالمى

القُبَّرة

"چان دارك"

تأليف : چان آنوى

ترجمة وتقديم : د. محمد م. القصاص

مسلسلة من المسرح العالمى

سلسلة يشرف

احمد مشارى العدوانى

الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. محمد اسماعيل

أستاذ مساعد الأدب الإنجليزى

زكى طليمات

المشرف الفنى لشئون المسرح

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية .

وزارة الإرشاد والأنباء - الكويت .

من المسرح العالمي
أول نوفمبر ١٩٦٩
شهرية



القُبَّرة
"جان دارك"

تأليف : جان آنوي
ترجمة وتقديم: د. محمد . م . القصاص

تصدر عن :
وزارة الإرشاد والأنباء ـ الكويت

العنوان الاصلي للمسرحية :

JEAN ANOUILH

L'alouette

LA TABLE RONDE

مقدمة بقلم المترجم

جان آنوى

لعله من المفيد لفهم جان آنوى ووضعه في موضعه الحق من حركة الفن والفكر المعاصرة ، أن نلقى نظرة خاطفة على هذه الحركة في فرنسا المعاصرة ، بل فى أوروبا الغربية بوجه عام ، تلك التى تتشابه اتجاهات تفكيرها لتشابه ظروفها ، وذلك لأن أدب جان آنوى ليس الا رد للحياة التى يحياها سكان أوروبا الغربية ، وربما سكان معظم أنحاء العالم ، فى عصرنا الراهن . ولسنا نعنى بذلك الرجوع الى نظرية تين Taine وغيره من فلاسفة المادية ونقادها التى عفا عليها الزمن والتى كانت تعتبر الأديب أو الفنان نتاجا طبيعيا وحتميا لبيئته وعصره وجنسه . لأننا اذا كنا نقول انه رد فعل لظروف الحياة التى يحياها ويحياها معه الملايين ، فاننا نعنى انه رد فعل حر قد يختلف لديه عما هو لدى غيره ممن اتفقت ظروفهم وظروفه ، بل وقد يتناقض معهم ، لأننا نؤمن بارادة الفرد وقدرتها على تكييف رد فعل صاحبها على ما يواجهه من أحداث ومواقف ، ومن هنا اختلفت ردود أفعال الأفراد وأحكامهم على نفس المواقف وان تشابهت ظروف حياتهم . هذا من الناحية النظرية ، أما من وجهة النظر العملية فان هذه الردود من الأفعال ، وان تخالفت أو حتى تناقضت ، تتبلور حول أقطاب معدودة أو تتفق فى خطوطها العريضة لتشابه العقول الفردية ، والفطرة البشرية ووحدة بنى الانسان .

الأدب في فرنســا المعاصرة :

الأدب في فرنسا وفى أوروبا الغربية ، بل وفى جميع انحـاء العالم المعاصر ، يعبر بوجه خاص عن تســاؤلات المواطنين ، عن قلقهم ، قلق جميع البشر . فالناس في قلق وعدم اطمئنان ، مثقلون بالمتاعب والآلام ، ليس فقط من جراء ما يمكن أن يكـون عليـه مستقبلهم في الحياة الدنيا أو مصيرهم العام أو الخاص أو بقاؤهم ، بل أيضا وبوجه خاص من جراء أوضاعهم الحاضرة . وهذه الحال هى ما يعبر عنها ، على وجه ما ، بحالة القلق . ولما كانت الأعمال الأدبية ، سواء أكانت قصصا أم مسرحيات ، أشياء مشخصة ، فلا بد من تشخيص أسس هذا القلق وتصنيفها اجماليا لنرى كيف نجدها في هذه الاعمـــال .

علـى هذا النحو يمكننا ارجاع ضروب القلق الى صورتين أساسيتين : القلق القائم على أسس مادية أو القلق الفيزيقى : فعدم الاطمئنان للغد والحروب التى لا تزيدها الأيام الا ضراوة وقدرة على التدمير والتى لا تكف عن تهديد الكائن البشرى كأنها سيف مسلط على رأسه ، والجور الاجتماعي الذى يكاد يكون عاما شاملا (على نطاق العالم) ، والشرور المادية بجميع أنواعها كالفقر القاتل والفنى المثير (على نطاق العالم أيضا)،هذه هى الأسس المادية لقلق البشرية ولكن هناك قلق آخر أشد من ذلك وأنكى : وهو تكاثر الأصنام العليا للانسان أو عوامل تسخيرة وكبت حريته ، تلك الأصنام التى قامت على أنقاض الدين الى حد كبير ، فى تلك البلاد لتكون وازعا ومصدر توجيه للناس : مثل الدولة ذات الحكم المطلق ، والمال ، والسطوة والجسد .

فهنـاك من راح يبحث عن صنمه ووازعه ومصدر الهامه وملتجئه فى البطل ، أو فى المغامر ، أو فى الانسان السوى . ومنهم من تجرد من كل معانى العظمة ، فراح يبحث عن هذا الصنم فى قاع الهاوية ، في الانحدار الخلقى الصريح أو المقنع تحت اسم التكامل الانسانى (وهو تعبير بارع يسير من ورائه الانحلال والانانية) .

وهنـــاك آخرون يثورون على كل ذلك ويجأرون بالشكوى منه ، لأنهم لا يستطيعون أن يطيقوا جور هذا العالم وآلام الابرياء وظهور الانسان دائما فى موقف المتهم أو موجه الاتهام مـــع تبادل المواقف فى هذا الصدد تبعا لقانون عشوائى لا منطق له . ولعل مؤلفنا جان آنوى من هذه الطائفة الأخيرة .

واذن فليست التيارات الرئيسية للأدب المعاصر الا نتـــاج اجابات الكتاب على هذا القلق والا ردود أفعالهم عليه . ويمتاز هذا الأدب فى عمومه باحترام الانسان فى جوهره ، وان بدا فى مظهره أنه على خلاف ذلك ، اذ نراه فى أغلب الاحيان يعرض الانسان عاريا أمام نفسه ، ويكشف له عن مخازيه ومخازى المجتمع الذى يعيش فيه ، ولكنه بذلك يدعوه للتخلى عن هذه المخازى والانخراط فى طريق السلوك الذى يليق بالانسان باعتباره كائنا محترما أو أهلا لأن يكون محترما . ومهما بدا من تشاؤم بعض هذه التيارات الأدبية ــ على نحو ما هى الحال لدى آنوى ــ فانه يدل لدى أصحابه على شعور خفى غير معترف ولا مصرح به بالأمل فى التغيير .

واذا كانت الحروب والمنازعات والثورات والاضرابات وهذا البؤس الذى يكاد يعم العالم تشغل حيزا كبيرا من نسيج العمل الأدبي المعاصر ، قصة أكانت أم مسرحية ، فذلك لأن المؤلفين الذين هم على بينة من مسئوليتهم ينتهزون الفرص التى يتيحها لهم الواقع للكشف عن تواثب البشر فيما بينهم ولزيادة تحديد حقيقة هذا التوثب وحقيقة هذه البشرية المتواثبة . ولا ينبغي أن نستنتج من ذلك ، أعني من الحرص على عرض وسائل العنف بأنواعها ، وجود ميل خبيث الى تمجيد هذه الوسائل ، بل هناك بالأحرى اتجاه لمجرد اعتبار أن العنف من مكونات مجتمعنا الحاضر ، وايقاظ الشعور بالتعارض الكامن بين بنى الانسان لتوجيهه فى سبيل الخير . والواقع أن التعارض فى حد ذاته ليس شرا ، ولكن الطريق الذى يوجه للسير فيه هو الذى يطبعه بالخير أو بالشر . اذ أن توتر العناصر شرط لكل حياة عضوية . بل ان مجتمعا من المحبين لا يمكن أن يعيش ويبقى الا باحتواء ما بين أعضائه من ضروب الصراع والتسامى بها فى نفس الوقت .

واحترام الكائن البشرى فى دراسته ومخاطبته ومحاولة تحديد حقيقته مما يستلزم من الكاتب أن يكون صادقا الى أبعد درجات الصدق ، صادقا فيما بينه وبين نفسه وصادقا فى تحرير رؤيته للناس والأشياء وفى عرضه على قرائه . وهو ما يتميز به الكاتب المعاصر ، ونحن نعنى الكاتب الذى يستحق هذا اللقب عن جدارة . ولكن من العسير الوصول الى هذه الدرجة من الصدق ، وبوجه خاص فى الاعمال الفنية ، مهما خلصت النية وصحت العزيمة. فان هناك دائما ضروبا من الابداع الثانوى تعترض بين الفنان وابداعه الجوهرى . وهذه عبودية العمل الفني . فمن العسير على الفنان مثلا أن يترك الحرية التامة لمخلوقات فنه ، لأنها مصنوعة من جوهره ، من ذات نفسه ، وانه اذا قال « أنا » فان من الصعب عليه جدا أن يبرز على القرطاس أنيته الخالصة ، لأن عملية الخلق الأدبي تحمله على تعديل رؤيته لذاته ، وأياما كان فان أشد ما يحرص عليه الكاتب المعاصر هو ان يكون صادقا . ويتمثل هذا الحرص فيما ينطوى عليه الأدب المعاصر من صراحة مذهلة فى بعض الاحيان .

حياة جان آنوى :

لا نعرف عن حياة جان آنوى الخاصة ونشأته وما يمكن أن يكون قد لاقى فيها من قهر وبؤس ومآس ومن لحظات سعادة عابرة، الا القليل . وهذا هو المعتاد فى الغالب بالنسبة للاشخاص العاديين ذوى المنشأ البسيط المتواضع ، ولا سيما اذا كانوا من الخجولين الذين يحرصون على الاحتفاظ لأنفسهم بكل ما يتعلق بشخصهم وامورهم الخاصة مثل حياة جان آنوى الذى يقول فى خطاب له الى أوبير جنيو Hubert Gignaux ردا على خطاب منه يطلب فيه بعض اخبار حياته :

« ليست لي ترجمة حياة ، وانا جد مسرور بذلك » .

فآنوى « رجل مسرح » ولا يريد أن يكون شيئا آخر غير ذلك . يقول عنه الناقد روبير دى لوب Robert de Luppe فى هذا الصدد : « ... انه اذا غامر بنشر خبر خاص ملفوف فى احدى النصائح

التي تطلب منه ، وكان من شأن هذا الخبر ان يكشف من ذات نفسه ، عرضه علينا كما لوكان عملا مسرحيا ينسلخ فيه الكاتب عن نفسه ليصبح شخصية مسرحية ، فتخرج من ذلك احدى الكوميديات الصغيرة التى تتألف خلفيتها من ذلك البؤس الذى يسرى في مسرحه » . فحياته الشخصية ليس فيها من المعالم الا ابتكارات رجل المسرح ، الا اكتشافاته الدرامية ولقاءاته الحاسمة بأهل مهنته . وهذه أكبر العلامات على أن آنوى رجل حى .

كان أبوه خياطا وامه عازفة كمان فى أحد الكازينوهات ، بقطنان بوردو حيث ولد جان فى الثالث والعشرين من شهر يونيو سنة ١٩١٠ . ولما بلغ سن الدراسة الحق بالمدارس العامة كسائر أبناء الطبقات الفقيرة . ولم تكد الحرب العالمية الاولى تضع أوزارها حتى كان ابوه وامه قد حملاه وشدا رحالهما الى باريس حيث نزلا فى حى مونمارتر الشعبي فى احدى حواف المدينة ، ذلك الحى الذى يكاد يكون منعزلا بطباع أهله وطريقة حياتهم التى ان قبلت التطور ومسايرة ركب الحضارة ، فانها تحرص كل الحرص على الاحتفاظ ببعض العادات والتقاليد التي ترجع الى أبعد أغوار التاريخ . ولذلك تعتبر حياة سكانه فى حد ذاتها أحد سجلات الفلكلور الفرنسي . فى هذا الطرف المرتفع من مدينة باريس شب جان آنوى . وهناك أتم دراسته الابتدائية والثانوية ، أولا فى مدرسة كولبير الابتدائية العالية ثم فى كوليج شابتال حيث درس فى قسمها الأدبي . وكان فى الفصل الذى يجاور فصله تلميذ آخر يدرس فى قسم الرياضة وأصبح له فيما بعد شأن كبير فى عالم المسرح ، وهو «جان لوى بارو Jeau Louis Barrault » . وما ان حصل على الثانوية العامة حتى دخل كلية الحقوق بجامعة باريس ، ولكنه لم يمكث فيها غير عام ونصف عام ، ثم اضطرته ظروف الحياة المادية ونفوره من الحياة الروتينية التى تجرى على وتيرة واحدة الى ترك الكلية والعمل باحدى شركات الاعلانات . وفيها أظهر من البراعة وسعة الخيال وروح الابتكار ما لفت اليه نظر الممثل البارع والمخرج الكبير لوى جوفيه Louis Jouvet (توفي سنة ١٩٥١) فاتخذه سكرتيرا خاصا له . وقد صادف هذا التعيين هوى فى نفسه لأن ولعه الأول

كان بالمسرح والتأليف الدرامي الى جانب الفن التشكيلي . وفي هذه البيئة الجديدة توفرت له كل الوسائل للاحتكاك بالمسرح ورجاله والاطلاع على أسراره ، فضلا عما وفرته له من الوقت للمزيد من القراءة المسرحية ودراسة كبار الكتاب المسرحيين وأعمالهم . ولكنه لم يلبث – على أثر مشاهدته لاحدى مسرحيات جان جيرودو كما سنقول فيما بعد – أن ترك جوفيه ، لكي يتفرغ للكتابة المسرحية استجابة لمواهبه وميوله الطبيعية وللكتابة السينمائية من حين لحين من أجل لقمة العيش على حد تعبيره . فهو يرى أن الكتابة للسينما بالنسبة للكاتب المسرحي نقيصة يجب سترها . ولذلك نراه يقول في جواب له على رسالة من « ڤنيو » : « ليس لي في السينما ما يرين على ضميري الا مسرحية أو مسرحيتان من مسرحيات الفودفيل وبعض الميلودرامات المهجورة التي رفضت أن أذيلها بتوقيعي » .

وحين اعتزم التفرغ للمسرح كانت تنتابه مشاعر شتى من الخوف والقلق والتصميم فى آن واحد ، فكتب الى أحد أصدقائه يخبره بأنها مغامرة لا يعرف نهايتها ، ولكنه سعيد بها مصمم على خوض غمارها دون ما رجعة . والواقع أنها كانت مغامرة معدة منذ الطفولة . ففي الثامنة من عمره كان كثيرا ما يشهد الأوبريتات التي تعرض فى كازينو أركاشون الذى تعمل فيه أمه ، ولكنه لم يكن يتجاوز الفصل الأول « حيث كان عليه بعد ذلك أن يذهب للنوم » . ولكنه يستدرك قائلا : « ولكن كان الممثلون يسحرونني : وحدة الفرقة ، والشخصيات بأدوارهم المحددة تمام التحديد ، والتوافه ، وضروب الهزل الغليظة ، وفتى الخشبة ، والخائن ، والعاشق ... الخ » وفى سن الثانية عشرة كان يكتب مسرحيات شعرية لا يكملها . وفى السادسة عشرة راح يحاكي « هنرى باتاى » فكتب مسرحية **المرأة فى المدفأة** التى لم تنفذ قط . ولكنه بدأ يتردد على المسرح حقيقة وبصورة جدية في باريس منذ سنة ١٩٢٥ حيث بدأ فى الذهاب الى المسرح ... (١) كما بدأ يقرأ شوودى موسيه وماريفو وكلوديل بيراندللو وغيرهم .

(١) من مقال له فى جريدة الفيجارو بتاريخ ٢٣ أبريل سنة ١٩٥٦ .

ولكن اللقاء الحاسم فى حياته الفنية ، وهي كل حياته تقريبا ، كان لقاؤه مع «جيرودو»، أو بالأحرى مع أحد أعماله، مساء أحد الأيام من سنة ١٩٢٨ فى مسرح « كوميدى الشانزليزيه » حيث كان جوفيه يقدم مسرحيته **سيجفريد** . وقد أشار آنوى الى هذا اللقاء فى المقال الذى كتبه فى صورة « تحية الى جيرودو » غداة موته ، ويقول فيه : « . . . انه فى مساء سيجفريد الذى فيه فهمت ، وبعده دخلت فى غمار ليل طويل لم أخرج منه خروجا تاما حتى الآن ، وربما بقيت فيه الى الأبد . ولكن فى هذه الأمسية من ربيع عام ١٩٢٨ ، حيث كنت وحيدا أبكى حتى من الكلمات المضحكة استطعت الانفلات قليلا .. من يستطيع أن يقول لك ذلك الآن ، ما دمت لم أجرؤ ولم أرد أن أقوله لك فى حياتك ؟ ففي هذه الأمسيات التي كانت فيها نفسي تتلاطم بذلك المزيج الغريب من اليأس والبهجة البالغة أقصى حدود القسوة ، من الكبرياء والتواضع البالغ أقصى حدود الحنان . . . فى هذه الأمسيات انكشف لي ذلك السر الذى لعله كان قد فقد منذ زمن طويل » . ولم يكن هذا السر الا الأسلوب الذى يجمع فى آن واحد بين البساطة والألفة وبين الشاعرية . وهكذا استطاع المؤلف الشاب الذى كان يحمل فى نفسه موهبة الفن الدرامي ، ولكن بصورة غامضة مختلطة ، أن يحدد أسلوبه بعد هذا اللقاء . ولم يكن الأمر في هذا الصدد يتعلق بالعثور على نموذج يحاكيه، بل بنوع من الاكتشاف . وفى ذلك يقول آنوى نفسه فى حديث له مع مجلة « الأخبار الأدبية Les Nouvelles Littéraires » : « كان أول التحام حقيقي لي بالمسرح على يد جيرودو ، وآمل ألا أكون قد عملت شيئا مما يشبهه . ولكن جيرودو هو الذى علمني كيف يمكن للمرء أن يستخدم فى المسرح لغة شعرية وصناعية ، ومع ذلك تكون أكثر تمثيلا للحقيقة والواقع من لغة المحادثة التلغرافية العادية » .

ومنذ ذلك الحين قرر آنوى أن يكرس حياته للمسرح دون سواه ، وتزوج « مونيل فالنتان Monelle Valentin » التي آل اليها أن تتقمص ، فوق الخشبة ، أدوارا لأشهر بطلاته . وقد أهداهما جوفيه الديكور الذى استخدم فى مسرحية سيجفريد ليؤثثا به عشهما الزوجي .

واذا كان هذا هو أثر جيرودو فى آنوى ، فانه لم يكن الأثر الوحيد ، فقد سبق أن قلنا انه قرأ كتابا آخرين وتأثر بهم ، ولعل من أهم هؤلاء : بيراندللو وبرنارد شو ودى موسيه وماريفو . كما كانت له لقاءات أخرى ذات بال .

واللقاء الثاني كان ذا أثر فعال فى توجيه آنوى فى فنه هو لقاؤه بالمخرجين المثلين بيتوييف Pitoeff وبرساك Barsacq سنة ١٩٣٧ . وفى نفس العام نفذ له بيتوييف مسرحية **المسافر بلا متاع** على مسرح الماتوران ، وحمل معه برساك مسرحية **كان هناك سجين** الى الولايات المتحدة خلال احدى رحلاته اليها مع فرقته « فرقة الفصول الأربعة » وفى سنة ١٩٣٨ نفذ له بيتوييف **المتوحشة** وبرساك **حفلة اللصوص الراقصة** هاتين الرائعتين اللتين كانتا فى انتظار التنفيذ منذ زمن ما .

واذا كان جيرودو هو الذى ساعد آنوى على اكتشاف أسلوبه ، فان بتوييف وبرساك هما اللذان ساعداه على اكتشاف الطريقة التي يعمر بها مشهده ، التي بها يشغل مكانه المنظرى ، لأن كليهما وبوجه خاص برساك ، تلميذ كوبر وكارتل ، قد جعلا من المخرج مبدعا خالقا يشكل مادة معينة (١) وبذلك جذبا آنوى الى مراعاة امتداد نصه خارج دفتي الكتاب ، الي مراعاة وصوله الي غايته . لذلك لم يكن من الاسراف ما قيل من أن رحيقا جديدا بدأ يسرى فى عروق مسرح جان آنوى ابتداء من مسرحية **المسافر بلا متاع** التى أخرجها له بيتوييف .

---

(١) اذا كان بيتوييف يقرر فى مقال له بمجلة « مسرحنا » سنة ١٩٤٩ أن « الامتزاج بالمؤلف والتفامل معه من أول واجبات المخرج » فانه فى نفس الوقت ينادى ويلح فى النداء « بالاستقلال المطلق لفن المخرج » . وكذلك برساك يقرر هو الآخر فى آن واحد ـ خلال تحقيق أجرته معه مجلة « ما بين الفصول » فى سنة ١٩٤١ بعنوان « الى أين يتجه المسرح ؟ » ـ احترام النص و « بروز شخصية المخرج الذى من رسالته ابداع وابراز الناحية التشكيلية للعمل المسرحى » .

وقد حدا ذلك بآنوى أن يظل على اتصال دائم بمخرجه ، والا يكون من أولئك الكتاب الدراميين الذين يأخذ عليهم برساك « انحصارهم فى عملية الكتابة » فان برساك نفسه يتكلم عن آنوى ، في سنة ١٩٤٦ ، فيظهره لنا في ثوب الصديق الخبير بدقائق المهنة ، اذ يقول : « انه أولا وقبل كل شيء صديق بيتنا ، الصديق ابباسم ، الصديق الساحر الأليف الذى يحلو له أن ينفذ الى أسرار عملنا » .

أما عن بيتوييف ودوام اتصاله به ومشاركته اياه فى اخراج ما أخرج من مسرحه فيكفينا تدليلا عليه ما قاله هو عن بيتوييف فى تحيته اه بعد موته ، وقد مرت بخياله ذكرى اجتماعهما معا حول **المتوحشة** ابان اخراجها ، وكانت هذه الذكرى لا تزال حية فى خاطره . يقول : « لم يكن هناك الا نحن الاثنان ، وقد جلسنا مطمئنين على كرسيينا ، أحدنا فى مواجهة الآخر ، وكنت تعمر ، بصوتك الخافت ، هذا المكتب الصغير بعالم قائم بذاته ... ومن حذف الى حذف انتهينا الى ألا ندع للود ميلا (١) ما تقوله غير الصمت الطويل ـ وقد أحسنت قوله ... أتذكر هذه الضروب من الحذف ؟ لقد كنت أنا دائما الذى أريد الحذف ، أما أنت فكنت تدافع عن نصى ضد كل ما يمسه ... » .

والى هذه اللقاءات يمكننا أن نضيف لقاءه بجان كوكتو الذى يقول آنوى أنه تلقى منه فى هذه اللقاء هدية فاخرة ، وهي شعر المسرح (٢) .

ومن هذه اللقاءات الموفقة المثمرة ولد لدى كاتبنا أسلوب مسرحي خاص بلغته ومشاهده المكانية . وفي هذا الشكل الخارجي

---

(١) زوجة بيتوييف ، وكانت تقوم بتمثيل بعض أدوار مسرحيات آنوى

(٢) يفرق كوكتو بين شعر المسرح والمسرح الشعرى ، وله فى ذلك كلام طويل مفصل يمكن الرجوع اليه فى المقدمة التى كتبها لمسرحية « عروسا برج ايفل »
Les Mâries De La Tour Eiffel

تجسدت الدراسات السيكولوجية المحببة لجان آنوى والتي تدور حول أخفى أعماق الوجدان البشرى .

مسرح جان آنوى :

وآنوى من الكتاب الذين لا يكاد يمر فصل مسرحي يخلو من وجود مسرحية له على خشبة أحد المسارح . ذلك أن مسرحياته تغرى من جانبين : الجانب الحسىّ والجانب العقلي . فليس من مسرحية له ، من كلمة ، أو رد لا يثير الحس . ففن آنوى ، من هذه الجهة ، جد قريب من فن مورياك ، سوى هذا الاختلاف ، وهو أن الواقع الذى يغترف منه ويثيره ويولده بفنه الساحر ، أكثر واقعية وأكثر عنفا مما لدى مورياك . انه يبهرنا بوسائل أكثر خشونة وأكثر حسية .

وقد عرف آنوى أول نجاح حقيقي لـه فى مسرحيـة **حفلـة اللصوص الراقصـة** التى عرضت سـنة ١٩٣٦ ، ثم فرض نفسـه بمسرحيتـه **مسافر بـلا متاع** .. وقد سـبق أن أشرنا الى بعض من تأثر بهم من سابقيه . ومنهم موسيه بالنسـبة للحنين والحب الشاب الحالم ، وبيراندللو بالنسبة للميل الى التخفي وابهام القائم على الأقنعة وتناسخ الشخصية . ولكن قلنا انه تأثر ، بوجه خاص ، بجيرودو بالنسبة لأسـلوب معين وطريقة معينة لاخفاء الفكرة فى الصورة الخيالية وحركة التفكير فى التلاعب بالألفاظ والفلسفة فى غضون الحيل الفنية . والحقيقة أن جيرودو هو الذى احتضن آنوى وعضده فى بادىء أمره . ولكننا اذا قارنا الاسـتاذ بوريشـه وجدنا بينهما ، رغم تشابه الأسلوب وتقارب القواعد الفنية ، اختلافا كبيرا في الجوهر . انهمـا من جيلين مختلفين بقدرما هما من مزاجين مختلفين . فجيرودو ، عضو السلك السياسي وخريج مدرسـة الفورمال العليا ، اتبع نوعا من الفلسفة الانسانية دفعه اليه حياته السعيدة وتشبثه بهذه الحياة وألفتـه اياها واعتبارهـا ممكنـة التحقيق لمن يشاء ، ونعنى فلسفة التفاؤل . نعم ، انه لم يكن يخدع نفسه من حيث الصعوبات التي تعترض طريق السعادة والعدل ، ولكنه كان يؤمن بالانسان ، ولا يعتقد فى الخطيئة الأولى ، ولا فى لعنة

تلاحق صاحبها مهما حاول الفرار منها ، بل كان يرى أن كل شيء ينتهي بخير ، وأنه لا بد للفجر أن يبزغ غداة ليل الكوارث الحالك ، وأنه من الخير والحق أن يحس كل انسان أنه « متضامن مع نجمه » مشارك فى صنع قدره . أما آنوى ، هذا الطالب الحقوقي الذى لم يستطع اتمام دراسته ، وعامل شركة الاعلانات الصغير ، فانه لم يولد بملعقة من ذهب فى فمه ، فاقتنع منذ حداثته بأن الحياة سيئة، وأن المجتمع فاسد ومن شأنه أن يفسد ذويه ، وأن الأمور تنتهى بسوء ، على وجه العموم ، بالنسبة لمن يبغون الخير . وهكذا نراه يشارك فى تشاؤم جيل كامل من الأدباء والمفكرين على رأسه رينيه شار وكامو ، وسلاكرو ومالرو ، وهنرى ميشو وسارتر ، وكذلك فريق العبثيين أو أصحاب مذهب اللامعقول الذين يعتبرون من حيث الجوهر خلفا لهؤلاء ، مع هذا الاختلاف الواضح بين الفريقين ، حيث يصف الأولون عدم غائية الحياة ولا معقوليتها — فى نظرهم — فى صورة من التعبير جد معقول ، فى حين يعبر الآخرون عن تشاؤمهم ورأيهم في عبثيه الحياه بأسلوب من جنس الفكرة التى يعبرون عنها : أسلوب اللامعقول الذى نرى أنه خليط من الأسلوب التأثرى والأسلوب السوريالي معا .

فآنوى يلقي على عالمنا بنظرة مليئة بالمرارة ، بل وربما باليأس ، حتى ليظن المرء أنه يتوقف عمداً امام السمات السوداء مع نوع من اللامبالاة المصطنعة التى تزيد من سوداويته . فعنده أن مجتمعنا يتكون بوجه خاص من المتخمين ، والمنفرين المضحكين ، وعبيد الشهوات ، والتافهين ، والمقززين الذين لا أمل لهم فى الخلاص والطهارة . وبعض هؤلاء سلبيون ، وبعضهم من المعتدين الشريرين ، ونجد أمثال هؤلاء وأولئك فى جميع الطبقات الاجتماعية ، وان منهم الأغنياء ومنهم من هم على شيء من الذكاء وحضور الذهن . انها الضعة الشاملة الكاملة ! انها الانسانية الخاطئة ! ومما يؤسف له اننا بالفعل نجد الكثيرين من أمثال هؤلاء فى حياتنا ومجتمعاتنا .

ولكن اذا كان الجهاز الحسى الذى يستخدمه آنوى يتسم بتلك الواقعية السوداء التي لا تخلو من الدنس فى بعض الاحيان ، فان

مسرحه بأسره تتخلله شعلة ، أو بالأحرى يتخلله تيار من الثورة الساخطة التي تعمل على تطهيره وتصحيح ما قد يكون فيه من ابتذال . وهذا ما نلمسه ، على الأقل ، في أبطاله ، أما نكراته وشخصياته الثانوية ، فانهم متقوقعون في دناءتهم . واذا كان هذا التيار من الثورة ، اذا كان هذا الاتجاه العارم نحو الطهر يضفي على مسرح آنوى بعض النبل ، فانه مع ذلك لا زال ينقصه الكثير لكي يصبح نظيفا كل النظافة ، فهو يثير الكثير من العكر والوحل ، ويقدم الكثير من حالات الزيف في المجتمع والأفراد ، مما يحفزنا الى تبصير قرائه ، اذا لم يكونوا من الناضجين ، وليس ذلك خوفا من تأثيره الضار ، لا على الخلق ، بل من صبغ نظرتهم الى العالم بالسواد .

وقد يتجه ذهننا لدى دراسة هذه الشخصيات الثانوية الى حكم أحد النقاد المعاصرين الذين يُرمون أحيانا بالتزمت ، اذ يقول : « أنا لا أرضي أن أدفع نقودى لأرى على المسرح أشخاصا لا أقبل استضافتهم في بيتي » . ولكن ثورة أبطال آنوى وتشبثهم بنوع من التوبة ، بنوع من الطهر المطلق الذى يستحيل تحقيقه ، مما يدفعهم غالبا الى الانتحار أو ما يشبه الانتحار ، يمنعنا من التعاطف مع قذارة الكثيرين من نكراته وينفرنا منهم ، وبالتالي يحول بيننا وبين التفكير في اتخاذهم قدوة لنا . ومن هنا كان مسرح آنوى ــ بالرغم من كل شيء ــ مسرحا أخلاقيا في عمومه ، وان كان مسرفا في التشاؤم واليأس من انصلاح حال بني الانسان .

ومع ذلك فان تشاؤم آنوى لا يذهب الى حد احتقار الانسان بكل ما فيه فهناك الى جانب الأغبياء والمعتوهين والجبناء الذين يعج بهم مسرحه ، نجد دائما بعض الشباب الملائكي المنير ، وهم عامة من الشبان الذين يهفون الى بهجة الفردوس ، ويبحثون عنها في طريق صاعد مزهر من الحب النقى الطاهر ، مثل جولييت وجوستاف في مسرحية **حفلة اللصوص الراقصة** ، وجورج وايزبلا في **موعد سانليس** ، وأورفيه وأوريسيد في مسرحية **أورفيه** ، وفلوران وتيريز في **المتوحشة** ... الخ . انهم من فئات المساكين الضعفاء

والشبان الذين لم يصيبوا نجاحا ، ونراهم هدفا لمكر الآخرين وغدرهم . وفى هذه الحال نراهم يثورون ويختارون الموت بدلا من الحياة فى عالم المزيفين ، من الكاذبين وغير الأصلاء .

وآنوى يقسم مسرحياته الى وردية وسوداء والى أقسام أخرى كلها ترجع فى النهاية الى هاتين المجموعتين . فهي وردية اذا تأتى للعاشقين فى نهايتها بالاتفق فيما بينهما والسير فى مسارب الحب معا عن طريق معجزة تحدث أو حيلة بارعة من المؤلف . وتوصف بالسواد اذا لم يستطع العاشقان التجاوب ، اذا انفصلا أحدهما عن الآخر ، أو بالأحرى اذا عملا باراتهما على الا يتجاوبا ، اذا عمل على ذلك أحدهما أو كلاهما بعد أن يكتشفا استحالة ما كانا يحلمان به ، كما هي الحال فى مسرحيتي أوريسيد والمتوحشة . وحتى تلك التي تسمى بالوردية لا تخلو من السواد الكثير . والذلك كانت كوميديات آنوى (المسرحيات الوردية) تذكرنا بكوميديات موليير وشارلى تشابلن من بعض وجوهها . انها تسلينا وتثير ضحكنا . ولكننا اذا أطلنا الوقوف عندها وواصلنا التفكير فيها وتعمق أحداثها ، بكينا أسى على ما تخفيه من مآس نجحت براعة الفنان فى سترها بوسائل فنية بحتة ، ولمنا انفسنا على أن ضحكنا سفاهة مما يغلف المآسى البشرية الحقيقية من خرق وحدق وسوء تصرف . فهي مآسي مغلفة بغلاف كوميدى . ذلك لأن آنوى لا يتخلى أبدا عن يقينه بأن الشر موجود ، وأن الشخص تلتصق به دائما ضروب البؤس الناجمة عن بيئته والقذارة التي يحملها له ماضيه . ومن حسن حظه ، لو استطاع كالمسافر بلا متاع ، أن يفقد ذاكرته فيتخلص من أثقال الأسرة وخطايا الطفولة ويختار لنفسه أصلا لا علاقة له بقدره الموروث أو الذى فرض عليه .

ولكن مثل المسافر بلا متاع جد نادر فى مسرح آنوى . اما غيره من الخيرين ، فانهم ، أمام فردوسهم الضائع ويأسهم من الاستمرار فى حالة الطهارة المطلقة التي ينشدونها ، يتشبثون ويرفضون ويسعون الى تحطيم كل شيء ويختارون طريق الآلام . ولعله لا

يوجد ما يصور نوع التشاؤم عند آنوي أكثر من تلك الصرخة التي نسمعها من تيريز المتوحشة حين ترفض السعادة والحب اللذين يعرضهما عليها فلوران المدلل المرفه الغارق في سعادة يغلفها خداع الانانية ، وهي : « سيوجد دائما كلب ضال في مكان ما يمنعني من السعادة » . وهكذا نرانا هنا بعيدين من عالم جيرودو ، قريبين من عالم سارتر وكامو .

هذه صورة مقتضبة لمسرح آنوي في عمومه ، ولكنها صحيحة . فمسرحه صورة حقيقية للمجتمع العالمي في الوقت الحاضر ، ولكنها صورة كاريكاتورية . والواقع — كما سبق أن قلنا — أننا نقابل مثل هؤلاء الاشخاص حتى في حياتنا اليومية بكل أسف . ولكن آنوي لا يرى فيهم (كما هي الحال لدى مورياك مثلا) تلك القابلية للاصلاح الكامنة في نفوسهم دائما . وهذه الشرارة التي لا تفتأ تومض وتبعث بالدخان يطفئها آنوي ، وكأنه يقول لنا : « نعم أعرف ذلك جيدا ! اننا نجد دائما داخل هؤلاء الافراد ومضات خاطفة من الرحمة والحب . ولكن لا ينبغي لنا أن نخدع في أمرهم . فهؤلاء المسوخ يعيشون في عالم مغلق لن يفلتوا منه ، وليس أمامهم سبيل للخلاص » . أما أبطاله الخيرون فانهم يصرون على ثورتهم ضد هذا الوجود . وكل ما يستطيعونه اظهارا لانكارهم اياه ، هو أن يبصقوا عليه باحتقار . ثم لا تلبث محاولاتهم لاصطناع العنف أن تخمد أمام بسمات السخرية من جميع من عداهم ، حتى من ضحايا الظلم الذين يدافعون عنهم أنفسهم . ثم لا يبقى أمامهم بعد ذلك الا أن يتشددوا في موقفهم بنوع من العناد الى أن يلوذوا بالموت حين يدركون أن كل مجهوداتهم نوع من العبث .

وهذا اتهام لا مراء فيه ، اتهام للأشرار ، ولكنه أيضا اتهام الأطهار أو من يتوقون الى الطهارة : الا يعتبر وقوف المرء على قدميه في مواجهة كل هذه الضروب من السباب نوعا من الاستشهاد ؟ ثم الا يعتبر هذا الخلاص عن طريق الانتحار ، أيا كان الأمر ، ضربا من الفرار ؟ نعم ، انهم لا يضطلعون بحمل هذا العالم الفاسد على أكتافهم لكي يفنوا في محاولة اصلاحه وتغييره بدلا من أن يبتعدوا عنه يائسين .

ولكن ليس من السهل ادراك طابع الاتهام بسهولة فى مسرح آنوى بفضل براعته التى لا حد لها فى فن كتابة المسرحية . فالمسرح حركة وتمثيل وتشكيل . وهذا ما نراه على أكمل صورة لدى آنوى . فكل كلمة فى مسرحياته لها وظيفتها فى هذا المجال . وهو يعرف بفطرته كل أسرار المسرح . انه يلعب بصعوباته لعبا . يقول عنه رينيه لالو René Lalou الناقد الفني والمؤرخ الأدبي المعروف :

« ان اضافة جان آنوى الى المسرح أكثر تعقيدا مما هي لدى جميع من عداه . فقد خرجنا من التجربة العامة لمسرحيته الأولى **السمور الأبيض** وكلنا مجمعون على أن هذا السكرتير الشاب لجوفيه يذكرنا بتلك القوة التي عرفناها لدى اسكندر دوماس الأب فى مسرحيته **انتوني** ولدى دستويفسكي فى قصته **الجريمة والعقاب** ولدى أعظم اخصائي المسرح الميلودرامي فى العالم . ولكن هذا المساء قد كشف لنا أيضا عن روح درامي لا شك فيه . وبعدها ركبنا الترو بقلوب تملؤها البهجة . ولم يلبث آنوى أن برر أملنا فيه . » .

وأيا ما كان ، فان هذه الفلسفة الانسانية الجديدة لدىآنوى تصر وتلح فى الاصرار على طلب المطلق الى حد استبعاد أى فرصة لخلاص الانسان على وجه الارض : فالسعادة نفسها أمر مريب كأنها ، فى نظرة ، خيانة كما يجب علينا من عطف نحو الاخرين وللأحترام الذى يليق بكائن بشرى طاهر صافي الذهن لا يحب أن يخدع نفسه . فالسعادة ، عند آنوى ، لايمكن ان تتوفر — كما يقوم المتنبى — الا لجاهل او غافل عما مضى من الحياة وما يترقب منها .

مسرحية القبرة (جان دارك) :

وآنوى ، كما أشرنا يعرف بفطرته كل أسرار المسرح ، . انه يلعب بصعوباته لعبا . ولعل أبرع مسرحياته ، من جميع الوجوه مسرحية **القبرة** ، أو قصة جان دارك . وفيها ايضا نجدنا أمام ذلك الفرار المعهود لدى آنوى عن طريق الموت ، والموت هنا يحيق بشخص جان نفسها ، وهو فى المسرحية يختلف فى بواعثه عما نعرفه عن

جان دارك من وثائق محاكمتها . فان جان التاريخ لم ترجع عن « رجوعها » الاول اشمئزازاً من عالمها واحتقارا لمن حولها ، أو يأساً من الوصول الى هذا النوع من الطهارة المطلقة التي تهفو اليها عادة بطلات آنوي ويستحيل عليهن الوصول اليها ، لما تضمنه ماضيهن البعيد من قذارة ، ولو كانت قد أصابتهن رغم ارادتهن ، لأن هذه الطهارة قد تحققت لجان دارك وربما كانت هي الوحيدة من بين بطلاته التي تحقق لها ذلك . وانما يقول التاريخ انها اختارت الموت تمسكا بالعدالة وتشبثا بالكرامة .

وفي هذه المسرحية يجتمع كل سحر آنوي المسرحي . مسرحته وقدرته الخارقة على السيطرة على قوانين المسرح الصارمة (مرور الوقت مثلا مسطور في تغيرات الديكور) ، وفيها قوة حواره العنيف وذلك المزج الدقيق بين الألفة والعظمة . فجان الشامخة ذات القداسة والكبرياء التي تختار النار على ما تعتقد أنه العار ، وتجابه اشنع أنواع العذاب تجنبا لانكار مبدأ لها ، ولو من الناحية المظهرية هي نفسها جان الطفلة السوقية أو شبه السوقية التي تحاور بودريكو وتمزح معه ... فتاة المقهى البلدي ، وهي نفسها جان الداهية الماكرة التي تعرف كيف تقنع بودريكور بصدق رسالتها موهمة اياه أنه هو صاحب الفكرة ، وكيف تحمل شارل على الخضوع لارادتها وتعيد اليه ثقته بنفسه وتجعله ينفض عنه الجبن والخمول والتردد ويقف في وجه زبانيته من النبلاء ورجال الكنيسة . كل هذا دون ان نشعر بأي انفصام في شخصيتها او تناقض في مسالكها الا أنها كائن بشري ، ولكن في أسمى ما يمكن ان يصل اليه الكائن البشري من طهارة وقداسة واباء وكمال .

ولما كانت المسرحية تقوم على أصل تاريخي ، فلعل أول ما يجب ان يكون تحت يد القارىء مجمل لتاريخ جان نفسه ، لتاريخ هذه الظاهرة التي لم تعش — بهذا الاعتبار — أكثر من عام واحد . وقد اجتهدنا في أن نستقي المعلومات التي نقدمها هنا في هذا الصدد من أوثق المصادر التاريخية والوثائق الرسمية وأكثرها مراعاة الدقة وتمسكا بالمنهج العلمي .

مجمل قصة جان دارك من التاريخ :

تلقب بعذراء أورليان . وهي بطلة فرنسية ولدت فى اسرة ريفية بقرية « دومريمي » من أعمال « الفوج » سنة ١٤١٢ ، وماتت حرقا بميدان السوق فى رووان عاصمة أقليم نورماندى عام ١٤٣١ . كانت فى كل حياتها مثلاً أعلى للتدين والتقوى والورع وحب الاحسان وكثيرا ما كانت تعتريها حالات انجذاب صوفى . وفى ذات يوم خرجت تعلن على الناس أنها تسمع أصواتا تناديها ، وبوجه خاص اصوات الملاك ميكائيل والقديستين كاترين ومرجريت ، وتأمرها بالذهاب لانقاذ فرنسا التى غزاها الانجليز واحتلوا معظم اجزائها وراحوا يدمرون فيها ويخربون . فذهبت الى النبيل « دى بودريكور » قائد مقاطعة « فوكولور » التي تنتمي اليها قريتها فى ذلك الحين ، وطلبت منه أن يبعث بها فى حراسة عسكرية الى شارل (السابع) ملك فرنسا غير المعترف به والذى كان يلقب حينئذ بولى العهد . وهو شخص تافه خبيث جحود جبان أناني فى آن واحد ، يقيم فى احدى مدن الاقاليم الصغيرة دون حول ولا طول . فرفض دى بودريكور ان يلبى طلبها أول الأمر ، وظل يلح فى الرفض حتى وقعت أورليان تحت حصار الانجليز سنة ١٤٢٩ ، وحينئذ فقط أجابها الى سؤالها وقابلت جان شارل وتعرفت عليه وهو متنكر بين أفراد حاشيته واستطاعت أن تقنعه برأيها ، فوضعها على رأس كتيبة صغيرة من الجنود أمكنها بها أن ترفع الحصار عن أورليان ، وأن تهزم الانجليز فى « باتيه » ثم صحبت شارل الى «رانس» حيث عملت على تنصيبه وتتويجه فى كنيستها الجامعة ملكا شرعيا على فرنسا كلها .

وفى احدى المواقع أمام (كومبيينى) ، احدى ضواحى باريس انفض من حولها من قامت بخدمتهم ، وحاكوا من حولها الدسائس والخيانات ، فسقطت أسيرة فى ايدى البرجونيين (من الفرنسيين المعادين للملك) نتيجة لخيانة الخونة ونذالة الانذال . وباعها هؤلاء بعشرة آلاف للانجليز الذين احالوها بدورهم الى المحاكمة أمام محكمة كنيسة برياسة مطران « بوفيه » ، « بيير كوشون » (الفرنسي

كسائر اعضاء المحكمة تقريبا) . وامام المحكمة ، دافعت جان عن نفسها بلباقة وبساطة وشجاعة وكبرياء تضرب بها الامثال ، ولكن المحكمة أدانتها بتهمة الالحاد والشعوذة والردة عن التوبة ، وحكمت عليها بالموت حرقا . فأحرقت بميدان السوق القديم في مدينة رووان .

وقد تحملت الموت والحريق والعذاب بشجاعة منقطعة النظير حتى قال الانجليز أنفسهم من ساسة وعسكريين : « لقد أحرقنا قديسة ! » والواقع ان الكنيسة الكاثوليكية التي احرقتها عادت ، وعلى راسها الفاتيكان ، فمنحتها التطويب سنة ١٩٠٩ ومقام القداسة سنة ١٩٢٠ ، فأصبحت القديسة جان !

ويعتبرها الفرنسيون تجسيما للوطنية الشعبية في فرنسا ، وأظهر مجد رآه التاريخ الفرنسي .

المسرحية :

اذن لقد أحرقت جان دارك بعد أن حكم عليها بالكفر والالحاد نتيجة لجهل الجاهلين ، وتعصب المتنطعين ، وخيانة الخونة ، ونذالة الانذال . ولكن اسمها بقى محفورا في سجل الخالدين . وكان احراقها قمة انتصارها وتتويج معجزتها . وهذا ما صوره كاتب المسرحية في مشهد رائع عنت له الحياة حقيقة لا مجازا ، كما سيرى قارىء المسرحية . ولكن لماذا ، اذا كان ذلك كذلك ، كما يقول اصحاب المنطق الشكلي ، لماذا لم يكتف المؤلف باختتام مسرحيته بذلك المشهد وما سبقه من موقف درامي من الدرجة الاولى ، بلغ فيه الصراع الدرامي داخل نفس جان دارك — وهذا هو جوهر الموقف الدرامي — اقصى مستوياته ؟ الحقيقة اننا نرى ، من واقع تصوير المؤلف لاحداث المسرحية ولصورة جان نفسها ولروحه السائدة في جميع مسرحياته ، أن آنوى على تمام البينة من ذلك ولكن ترك الستار الاخير ينزل على مشهد تتويج ولي العهد باعتباره رمزا لانتصار جان ، لأن هذا هو النصر الذي يستسيغه سواد الجمهور ، وجان دارك بطلة شعبية أولا وقبل كل شيء . اما « رفضها واصرارها على هذا الرفض » . اما صمودها — في سبيل

ذلك ــ للتعذيب والحريق ، للموت البطىء ، بكل شجاعة وكبرياء وايمان برسالتها وبكل تحد اجلاديها وكأنها ــ على حد التعبير الشعبى ــ تخرج لسانها سخرية من قضاتها ، فهذا نوع من الانتصار لا يستطيع ان يفهمه حق فهمه الا اصحاب الثقافات الصادقة ، الا ذوو المثل العليا الذين قد يقصم ظهورهم حمل المبادىء وكنهم لا يترددون لحظة واحدة فى التضحية بحياتهم فى سبيلها ، الا أولوا **العزم من الانبياء وابطال الفلاسفة .**

ولكن ما الذى أتاح للمؤلف هذا التلاعب بترتيب الاحداث و قلب عاليها سافلها وسافلها عاليها فى اكثر من مكان من المسرحية ، بل فى كل أحداث المسرحية تقريبا دون أية مراعاة لترتيبها الزمني ؟ ان ذلك هو الشكل الذى اختاره لمسرحيته ، القالب الذى صب فيه احداثه وافكاره ، شكل المسرحية داخل المسرحية أو تمثيل التمثيل، **ذلك الشكل الذى كان محببا الى بيراندللو ،والذى كتب به ماكسويل** اندرسون مسرحيته عن جان دارك ايضا ، ولكن من نوع من المزاوجة لعله اصاب المسرحية ببعض التعقيد والذى اولع به كاتبنا جان آنوى الى حد ان اتخذه اطار لمعظم مسرحياته . ولكن الباعث على اختيار هذا الشكل والنتائج المترتبة عليه تختلف لدى كل كاتب من هؤلاء الكتاب عنه لدى الآخر ، ولابد ان يكون له مبرر من جوهر فن المؤلف المسرحي نفسه ، وقد ظن الكثيرون من نقادنا الشباب وبوجه خاص الكثيرون من مؤلفينا المحدثين ، ان المؤلف لا يلجأ لذلك الا لما سموه « بكسر الايهام » فحاولوا ان يقلدوه تقليدا أعمى لهدف ان وجد عند غيرهم ، فلا يمكن ان يوجد عندهم ، وهو كسر الايهام فى مسرحيات كتبوها لا شىء فيها من الايهام ، بل كلها تكلف وافتعال ، كلها نوع من « نظم » الواقع الفج او ما ظنوا انه الواقع فى حوار ضحل جامد على نحو ما فعله المغفور له محمد بن مالك حين نظم « واقع النحو العربي » فى ألفيته المسماة « الفية بن مالك » أو « **الفية ابن ذلك» كما كان يحلو للمرحوم حسين شفيق المصرى ان** يسميها ، ويظنون أنهم بذلك كتبوا مسرحا ، كما « لم » يظن ابن مالك انه كتب شعرا . **والحقيقة أن أول ما يجب ان يراعيه كاتب**

المسرحية هو الناحية الفنية ، هو أن تكون مسرحية ، فبغير « الفن » لايمكن أن يكون الفن « فنا » وأرجو من سيادة القارىء ألا يتهمني — وحدى ، حين اعبر على هذا النحو ، بأني افسر الماء بعد الجهد بالماء . فهذه هى حال الكثيرين منا الآن ، اساتذة وطلابا ، جمهورا ونقادا ، عالمين ومتعلمين ، ولكن الغلبة أصبحت دائما لمن يستطيع ان يرفع صوته فوق صوت الآخرين .

فما عسى أن تكون بواعث آنوى ، بوجه خاص ، على اتخاذ هذا الشكل فى مسرحية القبرة ؟ فى ظننا أنها أولا طريقة للمزاوجه بين الوهم والحقيقة ، ولذلك كانت أقدر على تصوير الحقيقة الواقعة ، حقيقة الانسان النفسية ، لا المنطقية . وهى أيضا طريقة لتجنب الملل الذى لا بد أن يصيب المشاهد من المداومة على رؤية شكل فني واحد بعينه ، هو الشكل التقليدى البت ، حتى هذا النوع من « الفلاش باك » او الاسترجاع الذى كاد يصبح تقليديا هو الآخر فى يد من لا يحسن استخدامه . واذا كان ما فعله آنوى أيضا نوعا من الاسترجاع ، فانه استرجاع أصيل خاص بآنوى ، له مبرراته من طريقة علاجه لمادته ومن فلسفته فى الحياة والناس ، ولم نر ما يشبهه من بعض النواحي الفنية الا مـا فعله سارتر فى مسرحيته **الدوامـة** أو **النرويس** . ولا شـك أن هذا من رسـالة الفـن . فالفن خلق ، والخلق جدة ، حتى ليقول أحد النقاد فى مقال نقلته له احدى المجلات العربية منذ أكثر من عام « انه ما من شيء ذى بال فى الادب الا الجديد » . وفضلا عن ذلك فان اختيار هذا الشكل هو الذى أتاح لآنوى التحرر من التزامه المطلق بالخط التاريخي الزمني لسير الاحداث وظهور مسرحيته فى صورة عرض تاريخي ممسوح لسيرة حياة أو حادث معين ، وذلك دون أن يبدو هـذا التلاعب بالتواريخ أمرا نابيا أو غير طبيعى ، كما سيرى القارىء . وان لـم يكن هناك أدنى شك فى أن الفضل فى ذلك يرجع أولا وقبل كل شيء الى رسوخ قدم الفنان فى فنه وقدرته الفائقة على علاج احداثه فى الشكل الذى اتخذه قالبا لمسرحيته . وقد يكون هناك باعث أقوى وأصيل من هذين ، باعث من صميم العجينة الفنيـة والفلسفية للمؤلف ونظرته للحياة ، من اعتقاده أن قوام الحياة ليس الا مزيجا من الوهم والحقيقة ، كما سبق أن ذكرنا .

وأيا ما كان فهذه أصلا وسيلة من وسائل السينما كثيرا مسا يستغلها بعض كتاب المسرح بدرجات متفاوتة من النجاح . ولكن آنوى ببراعته التى لا تبارى فى استخدام الوسائل والحيل المسرحية قد أحسن استخدامها دون مساس بالروح المسرحى . ومع ذلك فانه اذا كان هذا هو سلوك جان آنوى الكاتب المسرحي الاصيل الذى يجرى فن المسرح الخالص فى عروقه ، فان هنالك كثيرين غيره أسرفوا كل الاسراف فى استخدام وسائل السينما وغيرها من الامكانيات الآلية الحديثة La Technique ، كأشرطة التسجيل وقطع من شرائط الافلام ووسائل الاضاءة واحداث الضوضاء وغيرها حتى أصبح مسرحهم خليطا من السينما والمسرح ، واختنقت نصوصهم حتى كادت تتلاشى وتصبح مجرد مناسبة تتيح للمخرج أن يمارس نشاطه الخاص المستقل . وفى رأينا أن هذا أمر يؤسف له ، ومن شأنه أن يقضى على المسرح كفن سام جميل قائم بنفسه ، وأن يطرد الفكر والتأمل من ساحته .

وآنوى فى تفكيره كما سبق أن قلنا أقرب الى التشاؤم، منه الى التفاؤل ، يرى أن الانسانية مخيبة لآمال بني الانسان ــ اذا صح هذا التعبير ــ بما تنطوى عليه من غش وخداع ودنس وعدم نقاء وتلاعب بالمبادىء . ولكن مسرحية القبرة أو جان دارك ، كما يقول ــ بحق ــ ناقد البارزيان ليبيرية بباريس ــ مسرحية متفائلة . فجان كما صورها آنوى ، « هذه الفلاحة ، البسيطة ، العنيدة ، الماكرة ، القديسة ، الطفلة ، التي قدت على مثال البدائيين » لا أحد يستطيع خيرا مما تستطيع هي « بطهارتها التي لا يمكن قهرها » أن تصلح ما بين آنوى ومن يرى رأيه من جهة وبين بشرية مخيبة للآمال من جهة أخرى ، لا أحد يستطيع ذلك خيرا من تلك التي تختار الموت حرقا على أن تنكر نفسها ، على أن تصبح بارادتها ــ أخرى غيرها ، على أن تتنكر لماض نظيف آمنت به وما زالت تؤمن به ، ولم يصبح فى مقدوره أن يدافع عن نفسه . هذا الى ان الدنس لم يعرف طريقة اليها قط ، على خلاف جميع بطلات المؤلف وأبطاله تقريبا . ونعنى الابطال

الأساسيين ، أولئك الذين تمسكوا بالطهارة ، ولكنهم يئسوا من بلوغها ، فرفضوا السعادة ولاذوا بالانتحار ، لانهم ارتكبوا فى مقتبل حياتهم أو باشر الآخرون عليهم ـ استغلالا لضعفهم أو فقرهم ـ ما دنسهم ، أو جرهم الى ذلك بعض ذوى السلطان ، أى سلطان كان . وفى تقدير هؤلاء الابطال اما أن تكون الطهارة مطلقة أو لا تكون ، واما أن تكون الحياة فى مجتمع من الأطهار وأما رفض كل شيء حتى الحياة، بل الحيـاة أولا وقبل كل شيء . وجـان دارك ـ كمـا قلنـا ـ هي الوحيدة من بين أبطال آنوى التي نشأت سعيدة طاهرة لم يمسها أي دنس . وآنوى نفسه يبرز هذه الناحية الجوهرية من حياتها اذ يقول على لسـانها :

« ... ذلك بعد صلاة المساء . وأنا صغيرة جـدا . ضفائرى لا تزال مرسلة ، لا شيء يشغل تفكيرى . كريم هو الله الذى حفظني طاهرة كل الطهارة ، سعيدة كل السعادة بين أمى وأبى واخوتى ، فى ذلك المنعزل الصغير المحمى من الارض حول دومريمى ، فى حين كان الجنود الانجليز الاقذار يحرقون وينهبون ويغتصبون البنات فى جميع انحاء الاقليـم ، وجاء كلبي الضخم يحك انفـه فى ردائـي وكان كل من حولى من الاقرباء الطيبين . وكانوا كلهم يعملون على حمايتى .... ما أبسط أن توجد فتاة صغيرة سعيدة ! » .

واذا كان آنوى قـد سلم بالرواية التاريخية التي تقـول أن عزيمتها لانت فى بعض اللحظات وأوشكت أن تنكر نفسها ، وان لم يكن ذلك خوفا من الحريق ، بل يرجـع الى ضغط بعض رجـال الكنيسة من قضاتها الذين كانوا يحاولون انقاذها ، ولكنها لم تلبث أن ثابت الى نفسها وأعلنت تشبثها بمبادئها ومسئوليتها عن كل مـا قالت وكل ما فعلت ، أعلنت تشبثها بما رات انه هو الحق والعدل وأنه هو الذى يليق بكرامة الانسان . لذلك كان جل حملـة مفتش العقيدة عليها موجهة نحو كونها انسانة متمسكة بانسانيتها ، بمـا يعتبر أنه كبرياء الانسان وغروره : « التفتيش المقدس يدافع عـن شيء أسمى وأكثر سرية من مجرد السلامة المؤقتة للكنيسة . وليس

عدوه هو الشيطان مشقوق الحافر الذى يخوف بهالاطفال المشاغبون ... انه الانسان» ولذلك نرانا منساقين الى القول بأن جان دارك فى مسرحية **القبرة** أقرب الى أبطال سارتر منها الى أبطال آنوى، وانها اذا كانت قد رفضت الحياة واختارت الموت فليس ذلك ليأسها من بلوغ حد الطهارة، بل لحرصها على « اتخاذ موقف » لا بديل له سوى التعذيب والحريق . والواقع أن حقيقة جان دارك نفسها كما يقررها التاريخ كانت أقوى من فن آنوى رغم ما قيل عنه « انه يستطيع كل شيء » ولعل هذا ايضا هو دفعه للتعاطف المطلق معها على غير عادته مع أبطال جميع مسرحياته .

ولم يحاول آنوى فى مسرحيته أن يعلل « لظاهرة جان دارك » كما فعل بعض من قدموها للمسرح ، لم يحاول أن يجد لها تفسيرا عقليا أو مبررا تاريخيا ولكنه ـ من هذه الناحية فقط ـ قدمها كما وردت ، فأكتفى ـ من بين ما اكتفى به ، وهو كثير ، بتصوير صورتها ـ من خلال نفسه ـ أروع تصوير ، صورة تزخر بقوة الروح ، روح الانسان ، وكم يستطيع هذا الروح أن يحشد فى جهاده ضد الطبيعة وضد الاقدار ! وقد فسر أعمالها ومسالكها وجميع الظروف التى أحاطت بالفترة التى عاشتها والرسالة التى اضطلعت بحملها ، وحلل نفسها ونفوس من اشتبكوا معها فى اداء أمانتها ، لا على طريقة التحليل النفسى الشائع فى هذا العصر ، بل على الطريقة شبه التقليدية فى المسرحية والقصة التى تجعل من الانسان وما لابسه كلا متماسكا تفسره أفعاله ومسالكه أكثر مما يفسره ذلك التطبيق الجاهل الأعمى لنظريات قد تكون حتى الآن مشكوكا فى أمرها ، وقد يكون من شأنها حمل الكاتب على أصدار أحكام مسبقة على ما يريد الحكم عليه .

هذه كلمة صغيرة عن المسرحية ومؤلفها ، وما زلنا نرجو أن نلحقها بكتيب مستقل عن جان آنوى ...

فبراير ١٩٦٩ **محمد محمد القصاص**

شخصيات المسرحية

واريك	Warwick
كوشـــون	Cauchon
جـــان	Jeanne
الأب	Le père
الأم	La mère
الأخ	Le frère
المدعى	Le promoteur
مفتش العقيدة	L'Inquisiteur
الأخ لادفنـــو	Frère Ladvenu
بودريكور	Beaudricourt
بودوس ، لاهير	Boudousse, La Hire
أنييس	Agnès
الملكة	La Reine
شـــارل	Charles
الملكة يولاند	La reine Yolande
كبير المطارنه	L'archevêque
لا تريموى	La Trèmouille
الجـــلاد	Le bourreau
جندى انجليزى	Un soldat anglais
الخادم الخاص	Le page

نص المسرحية

الديكور محايد ، مقاعد من أجل المحكمة ، مقعد صغير دون مسند لجان ، عرش ، حزم من خشب الحريق .

المسرح خال أول الامر ، ثم يدخل الاشخاص فى مجموعات صغيرة .

الملابس الى حد ما من ملابس العصورالوسطى، ولكن دون عناية خاصة بالشكل أو اللون ، جان ترتدى ملابس رجل تعاوهـا لباس مما يرتديه المبارزون ، وذلك من أول المسرحية الى آخرها .

يتناول الاشخاص لدى دخولهم خوذاتهم أو لواحق ملابسهم التي كانوا قد تركوها على المسرح فى نهاية العرض السابق ، يستقرون على مقاعدهم التى يعدلون وضعها وترتيبها . الام تشتغل بالأبرة فى أحد الاركان وتستمر فى الشغل بالأبرة طوال المسرحية الا حينما يكون الدور عليها .

وارويك وكوشون آخر من يدخلون .

واريك (شاب صغير السن ، ساحر جدا ، أنيق جدا ، تتمثل فيه ملامح جنسه الى أقصى حد .) كلنا هنا ؟ اذن هيا الى القضية فورا . فكلما سارعنا كان ذلك خيرا . بالنسبة للجميع .

كوشون : ولكن يامولاى أمامنا القصة كلها ، ولا بد من

تمثيلهـــا دومريمي ، الأصـــوات ، فوكولور ،
شينون ، التتويج ...

واريك : مساخر ! هذه ، انها قصة أطفال . الدرع الأبيض
الجميل ، العلم المحاربة العذراء الحنون القاسية
على هذا النحو ستضع التماثيل فيما بعد ، اذا
ما دعت الضرورة الى انتهاج ســياسة أخرى .
بل ليس من المستبعد أن نقيم لها ، نحن ، تمثالا
فى لندن يبدو كما لو كنت أمـــزح ، يامولاى ،
ولكن المصالح العميقة لحكومة صاحب الجلالة
قد تصبح كذلك بعد عدة قرون ... أما أنا ،
بوشان ، كونت دى واريك ، فاني أضع قبضتي
على ساحرتي الصغيرة القذرة فوق فراش القش ،
فى أعماق سجن رووان ، معكرة مزاجي ، علتي
الصغيرة ــ لقد دفعت فيها الثمن غاليا ...
لو اســـتطعت شراءها مباشرة من جان دى ليني
هذا الذى أسرها ، اذن لاستحوذت عليها بثمن
معقول فهو رجل تعوزه النقود . ولكن كان على
أن أمر بوسيط ، بدوق بورجونيا . لقد سبقني
الى الصفقة ، وكان يعرف أننا فى حاجة اليها ،
أما هو فلم يكن في حاجة الى نقود . وقد جعلني
أعاني نتيجة ذلك بصورة قاسية .

ولكن حكومة صاحب الجلالة عرفت دائما
كيف تدفع الثمن الذى ينبغي دفعه من أجل
الحصول على شيء فى القارة . لقد كلفتنا غاليا ،
فرنسا ! على كل حال لقد أصبحت فى حوزتي ،
هذه العذراء ...

(يلمس جان الجالسة القرفصاء فى ركنها بطرف عصاه .)

انه ثمن باهظ بالنسبة لقيمتها ، ولكنها فى حوزتي
أحاكمها وأحرقها .

كوشـــون : ليس على الفور ، فلديها كل حياتها لتمثلها قبل
ذلك . حياتها القصيرة تلك الشعلة الصغيرة ذات
البريق الذى لا يقاوم ـ الشعلة التي انطفأت
مبكرة . فالمسألة لن يطول مداها ، يامولاى ...

واريك : **(يذهب للجلوس فى أحد الأركان مستسلما .)**
ما دمت تريد ذلك . الانجليزى يعرف دائما كيف
ينتظر . **(يســأل فى قلق .) ومع ذلك فلست**
أظنك تقصد أن تتسلى بتمثيل جميع المواقع ؟
أورليان ، باتيه ، بوجنسى ... ان ذلك يشق على
نفسي الى أقصى حد .

كوشـــون : (مبتسما) أطمئن ، يامولاى ان عددنا الصغير
لا يسمح بتمثيل المواقع ...

واريك : حســـن .

كوشـــون : (يلتفت نحو جان) : جان ؟ (ترفع بصرها نحوه.) تستطيعين أن تبدئي .

جـــان : أستطيع البداية من حيث أريد ؟

كوشـــون : نعـــم .

جـــان : اذن منذ البداية .فبدايات الأمور ، دائما ،أجمل ما فيهـــا . فى بيت أبي حين كنت لا أزال فتاة صغيرة . الحقل حيث كنت أحرس القطيع المرة الأولى التي سمعت فيها الأصوات .

(تظل جالسة القرفصاء فى نفس المكان ، الاشخاص الذين لا شأن لهم بهذا المنظر يبتعدون فى الظلام . يتقـــدم أبو جان وأخوها وحـــدهم لأن عليهم أن يتدخلوا فى الكلام . الأم تشتغل بالابرة دائما) .

ذلك بعد صلاة المســـاء . وأنا صغيرة جـــدا . ضفائرى لا تزال مرســـلة . ولا شيء يشـــغل تفكيرى . كريم هو الله الذى حفظني طاهرة كل الطهارة ، ســـعيدة كل الســـعادة بين أمي وأبي وأخوتي فى ذلك المنعزل الصغير المحمى من الأرض حـــول دومريمي ، فى حين كان الجنود الانجليز الأقذار يحرقون وينهبون ويغتصبون البنات فى

جميع انحاء الاقليم • وجاء كلبي الضخم يحك أنفه في ردائي • وكان كل من حولي من الأقرباء الطيبين ، وكانوا كلهم يعملون على حمايتي ••• ما أبسط أن توجد فتاة صغيرة سعيدة ! ••• ثم فجأة أشعر كأن أحدا من خلفي يلمس كتفي ، ومع ذلك كنت أعرف أن أحدا لم يلمسني ، وقال الصوت •••

شخص ما : (يسأل فجأة من قاع المسرح •) من سيمثل الأصوات ؟

جـان : (كما لو كان ذلك أمرا بديهيا •) أنا بكل تأكيد • (تستمر •)
تلفت ، فكان هناك ضوء عظيم يبهر الأبصار جهة الظل من خلفي • وكان الصوت حلوا رزينا ، ولم أكن أعرفه وفي هذا اليوم اكتفي بأن يقول : ياجان ، كوني طفلة طيبة عاقلة ، ترددي كثيرا على الكنيسة •

لقد كنت طيبة وعاقلة ، وكنت كثيرة التردد على الكنيسة ، فلم أفهم شيئا ، اعتراني خوف شديد ، وفررت عدوا • هذا كل ما كان في المرة الأولي • ولما رجعت الى البيت لم أبح بشيء •

(لحظة صمت ، تحلم قليلا ، ثم تضيف قائلة) :
بعد قليل رجعت مع أخي ، لاحضار القطيع الذى كنت قد تركته . كانت الشمس قد غابت ، ولم يعد هناك ضـــوء .
ثم كانت المرة الثانية ، ولكن فى عز الشمس وكان أكثر من الشمس سطوعا . وقد رأيته فى هـــذه المرة .

كوشـــون : مـــن ؟

جـــان : رجل محنك يرتدى ثوبا جميلا أجيد كيه وله جناحان عظيمان ناصعا البياض . لم يذكـــر لي اسمه فى هذا اليوم ، ولكنني عرفت فيما بعد أنه سيدى الملاك ميكائيل .

واريك : (متضايقا ، لكوشون) : هل مـــن الضرورى الذى لا محيص عنه أن نسمح لها مرة أخرى بحكاية هذه البلاهات ؟

كوشـــون : (بحزم .) من الضرورى الذى لا محيص عنه ، يامولاى . (واريك يعود الى الجلوس صامتا فى ركنه ، يستنشق رائحة وردة يمسك بها فى يده.)

جـــان : (بصوت طاووس الملائكة العريض .)

جان ، أذهبي لنجدة ملك فرنسا وستعيدين اليه مملكته •

(تجيب •)

ــ ولكني ، يامولاى ، لست الا فتاة مسكينة ، لا أعرف ركوب الخيل ولا قيادة الجنود •••

ــ ستذهبين لمقابلة السيد دى بودريكور ، قائد فوكولور •••

(بودريكور ينهض من بين الجمهور ويدلف الى الصف الأول ، مشيرا الى الآخرين بأن هـذا دوره ــ شخص ما يحتجزه ، اذ لم يحن دوره بعد •)

••• سيعطيك ملابس رجل ويعمل على اصطحابك الى ولي العهد ، وستخف القديسة كاترين والقديسة مرجريت لمساعدتك (تنهار فجأة وهي تنتحب وفى حالة روع شديد •) •

الرحمة ! الرحمة ، يامولاى ! اني فتاة صغيرة ، اني سعيدة • لاشيء لدى أعتقد أني مسئولة عنه غير غنمي ••• أما مملكة فرنسا فهذا أمر يفوق طاقتي • يجب أن تعتبرني صغيرة جاهلة خائرة القوى • فرنسا هـذا حمل ينوء بكاهلي ، يامولاى ! هناك من حول الملك قواد عظام أقوياء

ولديهم الخبرة ... ثم انهم اذا خسروا موقعة
لن يمنعهم ذلك من النوم. سيقولون أن التحضير
بالمدفعية لم يكن كافيا أو أن مساعديهم لم
يكونوا على مستوى الموقف أو ان الثلج أو
الريح كانا غير مواتيين بالنسبة لهم ، واذا مات
كل رجالهم أكتفوا بمحو أسمائهم من قوائمهم
بكل بساطة . أما أنا فلو تسببت فى قتل بعض
الرجال لعشت أفكر فيهم كل أيامي ... الرحمة
يامولاى ! (تعود الى النهوض وبنغمة أخرى .)
واأسفاه ! لارحمة . لقد ذهب ، وبقيت أنا ،
وفرنسا على كاهلي . (تضيف بكل بساطة) :
فضلا عن أعمال المزرعة وأبي الذى لا يعرف
المزاح .
(الأب الذى كان يدور حول الأم ينفجر فجأة .)

الأب : ماذا تفعل ؟

الأم : (مستمرة فى شغل الأبرة) : انها فى الحقل .

الأب : وأنا أيضا كنت فى الحقل ، وقد رجعت . الساعة
الآن السادسة . ماذا تفعل ؟

الأخ : (يتوقف لحظة ليعبث فى أنفه •) البنت جان ؟
انها تحلم بالقرب من شجرة الجن لقد رأيتها
وأنا راجع بالثور •

المدعي : (للآخرين الذين فى قاع المسرح) : شجرة الجن !
أرجوكم أن تسجلوا ، أيها السادة خرافات •
سحر لا يزال فى مرحلة النماء ! شجرة الجن !

كوشون : هناك ، يامولاى المدعي ، أشجار للجن فى
كل مكان بفرنسا ، يجب علينا أن نترك بعض
الجان للبنات الصغار ، فهذا فى مصلحتنا •

المدعي : (ممتعضا •) لدينا قديستنا ، ويجب أن يكون
فى هذا كل الكفاية بالنسبة لهن !

كوشون : (مصالحا •) فيما بعد ، بكل تأكيد • ولكن اذا
كن لا يزلن صغيرات جدا ••• جان لم تكن
قد بلغت الخامسة عشرة من عمرها •

المدعي : فى سن الخامسة عشرة البنت بنت • فى هذه السن
أولئك الجميلات يعرفن كل شيء •

كوشون : كانت جان فى ذلك الحين مثالا للطهارة • أنت
تعرف أني لا أرحمها ، من جهة الأصوات ، خلال

هذه المحاكمة ، ولكنني أريد أن أفوت لها مسألة الجن هذه ، جن الفتيات الصغيرات ...
(ويضيف بحزم .) وأنا الذى أرأس هذه المناقشات .(المدعي ينحني فى حقد ويسكت .) .

الأب : (ينفجر من جديد .) ماذا تفعل بالقرب من شجرة الجن ؟

الأخ : اذهب أنت ، لتعرف منها ! انها تنظر أمامها فى خط مستقيم ، تحلم كما لو كانت تنتظر شيئا ، وليست هذه هي المرة الأولى التي أراها فيها على هذا النحو .

الأب : (يهزه .) لماذا لم تقل لي أيها التعس الصغير ؟ ألا تزال ، وانت في سنك ، تعتقد في البنات اللائي يحلمن ، أيها الأبله الكبير ؟ انها تنتظر شخصا ، نعم ، لا شيئا ! قلت لكم انها عاشقة هذه الشقية ، جان . أعطونى هراوتى !

أم : (بهدوء ، وهي مستمرة فى شغل الابرة .) ولكن ، يابابا ، انت تعلم علم اليقين أن جان طاهرة طهارة الأطفال .

الأب : البنات الطاهرات طهـارة الأطفال ، يقدمن لك جباههن من أجل قبلة المساء وعيونهن كلهـا صفاء ، تستطعين ذات مساء ، وللمرة الأخيرة ، أن تقرئي ما فيها حتى أعماقها ثم فجأة يتغـير كل شيء • في صباح اليوم التالى بعد أن نكون مع ذلك قد أغلقنا عليهن الباب بالمفتاح ، لا نعرف ماذا جرى ، لم يعد في وسعنا أن نقرأ في أعينهن أى شىء انها تحيد عنا ، وهن يكذبن علينا ! لقد تحولن الى شياطين •

المدعي : (يرفع أصبعه •) لقد قيلت الكلمة الصحيحة ، أيها السادة ، وأبوها هو الذى قالها !

الأم : كيف تعرف ذلك ، أنت ؟ جان كانت لا تـزال طاهرة حينما انطلقت الى الحقل هذا الصباح ، وأنا حينما أخذتني من بيت أبي كنت طاهرة •• كيف كانت عيناى اذن صباح اليوم التالى ؟

الأب : (مزمجرا •) كما كانتا ، وليس هذا هو موضوع كلامنا •

الأم : هل معنى ذلك أنك عرفت بنات أخريات ، أيهـا الرجل الطيب ؟ لم تخبرني عن ذلك قط !

الأب : (يصيح لكى يدارى حرجه •) قلت لـك أنه لا أنـت ولا غـيرك موضـوع كلامنـا ، بل جان اعطني هراوتى • وسأذهب لاحضارها بنفسى واذا كانت على موعد ، فسأقضى على الاثنين معا •

جـان : (تبتسم بهدوء•) نعم ، كنت على موعد ــ ولكن حبيبي كان ذا جناحين أبيضين ، ورداء جميـل أجيد كيه ، وكان يكرر بصوته الرزين :
ــ جان ! أى جان ! ماذا تنتظرين ؟ ان مملكة فرنسا في حالة يرثى لها •
ــ انى خائفة ، يا مولاى ، لا شك انك أخطأت طريقك •
ــ أيخطىء الاله ، يا جان ؟
(تتلفت نحو القضاه •) لم يكن فى مقدورى ، رغم كل شيء أن أجيبه بنعم ؟

المدعي : (يهز كتفيه •) كـان يجب أن ترسمى علامـة الصليب !

جـان : هذا ما فعلته وفعله معى طاووس الملائكة وهـو يحملق فى عيني بينما كانت تدق الأجراس •

المدعي : كان يجب أن تصيحي فى وجهه قائله : « فــاده رترو ساتاناس ! » •

جــان : أنا لا أعرف اللاتينية ، يا مولاى •

المدعي : لا تتغابى ! الشيطان يفهم الفرنسية • كان يجب أن تصيحي في وجهــه قائلــة : « اذهب أيهــا الشيطان القذر المنتن ، لا تتماد في اغرائي ! »

جــان : لكنه كان الملاك ميكائيل ، يا مولاى !

المدعي : (يضحك ســاخرا •) لقد قــال لك ذلك ، يا دجاجتى الصغيرة ، فهل صدقته ؟

جــان : بكل تأكيد • أولا لم يكن من الممكن أن يكون الشيطان ، لقد كان في غاية الجمال •

المدعي : (يعلن واقفا ، خارجا عــن طوره •) بالضبط ! الشيطان جميل !

جــان : (فى حالة خجل شديد •) أوه يامولاى !

كوشــون : (يهدىء المدعي باشــارة •) أخشى ، يا سيدى المدعى ، أن تكون هذه الدقائق اللاهوتية ــ التي يمكن أن تكون محل مناقشــه بين رجال

الدين ـ مما يتجاوز فهم هذه الفتاة المسكينة •
انك تثير خجلها دون جدوى •

جـان : (وقد نهضت هي الأخرى ، تصيح فى وجـه المدعي •) كذبت أيها المطران ! نعم ، لست فى مستوى علمك ، ولكنى أعـرف أن الشيطان قبيح ، وأن كل ما هو جميل من صنع الله •

المدعي : (ساخرا •) على هذا النحو يصبح الأمر فى غاية السهولة ! (يضيف قائلا) : وفى غاية الغباء ! اتظنين اذن أن الشيطـان غبـي ، انه أذكى ألف مـرة منـك ومنى مجتمعين • أتظنـين أنه اذا أراد اغراء احدى النفوس ، مثل أمامها كقط نتن المؤخرة ، كجمل من جمال الصحراء ، ككركـون مرعب ؟ ربما كان ذلك فى حكايات الاطفال ! ••الحقيقة أنه يختار من ليالى السنة أكثرها عذوبة وأشدها سطوعا ، أعبقها بالروائح الزكية ، أكثرها خداعا •• أنه يتمثل في ملامح فتاة جميلة عارية تماما نافرة الثديين ، جمالهـا لا يقاوم ••

كوشـون : (يوقفه ، وبقسوة •) أيها القمص ! انك ضللت السبيل • ها أنت ذا بعيدا من شيطان جان ، اذا

كانت قد رأت شيطانا ، أرجوك الا تخلط بين شيطاني" كل منكما .

المدعي : (يتــداركـ ، مبهوتــا ، وســط ابتسامــات الآخرين .) معذرة ، يا مولاى ، لكن لا يوجد الا شيطان واحد .

كوشـــون : هذا فضلا عن أننا لم نصل بعد الى المحاكمه . سنستجوبها بعد قليل .
استمرى ، يا جان .

جـــان : (ظلت مبهوتة ، تواصـــل الكلام .) اذا كـــان الشيطان جميلا ، فكيف يتأتى لنا اذن أن نعرف أنه الشيطان ؟ .

المدعي : أن تسألي قسيسك .

جـــان : ألا يمكن للانسان أن يعرفه وحده ؟

المدعي : كلا . ولذلك لم يكن هناك خلاص خارج نطاق الكنيسة .

جـــان : لا يمكن للانسان أن يكون معه قسيسة دائما ،

الا بالنسبة للأغنياء • هذا أمـــر عسير بالنسبة للفقراء •

المدعي : من العسير على جميع الناس ألا تحل بهم اللعنة •

كوشـــون : دعها ، يامولاى المدعى ، دعها تتكلم مع أصواتها بهدوء • هذه بداية القصة • وليس لأحـــد أن يلومها فى شىء حتى الآن •

جـــان : (تستمر •) :
ثم في مرة أخرى جـــاءت القديســـة مرجريت والقديسة كاترين ••
(تلتفت الى المدعي بشىء من التحدى الخبيث وتقذف فى وجهه بقولها •)
وكانتا جميلتين ، هما أيضا •

المدعي : (لا يستطيع أن يمنع نفسه من أن يقذف بقوله، وقد أحمر وجهه فجأة •)
اكانتا عاريتين تماما ؟

جـــان : (تبتسم •)
أوه ، يا مولاى ! أتظن أن ربنـــا لا يملك مـــن الوســـائل ما يشترى بها أثوابا لقديســـاته ؟

(تصدر ضحكات قصيرة لدى هذا الجـواب ، ويعود المدعي الى الجلوس خجلا .)

كوشـون : انت ترى ، يا سيدي المدعي ، أنك تثير ضحكنا جميعا بأسئلتك . توقف منذ الآن عن التدخل ، ما دمنا لم تتناول جوهر المناقشة . وبوجه خاص لا تنسى اننا حتى ونحن نحاكم هـذه الروح الصغيرة في ذلك الجسم النحيل المتغطرس ، بل لا سيما ونحن نحاكمها ، نعد أنفسنا مسئولين عن تبعتها .. فأي تشويش تغامر بالقائه في هذا المخ الحدث وانت توحي اليه بأن الخير والشر ليسا الا مسألة ملابس ؟ ان قديسينا ، مكسوون ــ على وجه العموم ــ في حالـة تصويرهـم المعتاد ، هذا ما أسلم لك به . ولكن ..

جـان : (تقذف في وجه المدعي .) مخلصـا عار فوق الصليب !

كوشـون : (يلتفت نحوها .)
لقد قلت ما كنت سأقوله ، يا جان ، وان كنت قد قطعت على كلامي . ولكن ليس من شأنك انت أن تنبهي القمص المحترم ــ انك تنسـين من أنت ومن نحن . نحن رعاتـك وسادتـك

وقضاتك . فاحذري كبرياءك ، يا جان لأنه اذا استطاع الشيطان أن ينال منك فلن يكون ذلك الا عن طريق الكبرياء .

جان : (بهدوء .)
أعرف أني ملآى بالكبرياء ، ولكني من بنات الله . لو لم يكن يريد أن أتصف بالكبرياء ، فلماذا ارسل الي ملاكه المتلألىء بالضياء وقديساته المتدثرات بالنور ؟ لماذا وعدني باقناع جميع من أقنعتهم من الرجال ــ وكلهم في مستوى علمكم وفي مستوى حكمتكم ــ وأن أحظى بدرع جميلة بيضاء ، وسيف بتار ، هبه من مليكي ، وان أقود كل هؤلاء الجنود البواسل الذين قدتهم في قلب المعمعة ، وأنا شامخة على صهوة جوادي ؟ فلو أنه تركني لحراسة غنمي والغزل بجانب أمي لما عرفت الكبرياء طريقها الي في يوم من الأيام ..

كوشون : زني كلماتك ، يا جان ، زني أفكارك ! انك الآن تتهمين ربك .

جان : (ترسم علامة الصليب .)
لا قدر الله على ذلك! أقول ان ارادته نافذة

حتى لو أرادنى أن أكون صلفة ، وحتى لو حكم
عليّ باللعنة . فهذا حقه أيضا .

المدعي : (الذى لم يعد يستطيع الصبر .)
شيء رهيب ! ان ما تقوله لشيء رهيب ! .
كيف يمكن لله أن يريد الحكم باللعنة على روح؟
وأنتم أيها السادة ، أتصغون اليها دون أن ترتعد
فرائصكم ؟ أنى أرى هنا بذور زندقه شنيعة
لا بد أن تمزق شمل الكنيسة يوما من الأيام ..
(ينهض المفتش واقفا . وهو رجل تبدو عليه
مخايل الذكاء ، نحيف صلب يتكلم بهدوء
شديد .)

مفتش التحقيق : انصتى جيدا الى ما سأسألك عنه يا جان .
أتعتقدين أنك فى هذه اللحظة فى حالة فضل ؟

جان : (صافية جدا ، تسأل .) :
أى لحظة يا سيدى ؟ لم أعد أعرف أين أنا الآن
من كل هذا . فقد اختلط كل شيء . أتعني فى
البداية حينما كنت أسمع الأصوات أم فى نهاية
القضية أم بعد القضية حين فهمت أن مليكي وأن
رفاقى أيضا قد هجرونى ، أم حين خامرنى الشك،
أم حين جحدت ثم رجعت ؟

مفتش التحقيق : لا تهربى من سؤالى • أتعتقدين انك في حالـة فضل ؟
(لحظة صمت لـدى جميع القساوسـة الذين ينظرون اليها بنهم ، لا بد أن يكون هذا سؤالا خطرا •)

لادفنـو : (يقف •) :
سيدى المفتش ، هذا سؤال مخيف بالنسبة لفتاة بسيطة تؤمن باخلاص بأن الله اصطفاها • أطلب الا يحسب جوابه عليها ، انها تخاطر دون تبصر •

مفتش التحقيق : صمتا ، يا أخ لادفنو ! انى اسأل عما يطيب لى أن أسأل عنه • فلتجب على سؤالـى اتعتقدين أنك فى حالة افضل ، يا جان ؟

جـان : اذا لم أكن فيها ، فليشـأ الله أن يشملني بها ؛ واذا كنت فيها فليشأ الله أن يحفظها على •
(همس من القسس • المفتش يعود الى الجلوس دون أن يبدو على وجهه أى تعبير • لادفنـو يهتف برفق •)

لادفنـو : أحسنت الجواب ، يا جان !

المدعي : (يزمجر متبرما مـن نجاح جـان •) : وبعد ؟

الشيطان لبق والا لم يكن الشيطان . ولا بد أن تعرفوا انه سبق أن وجه اليه السؤال . وأنا أعرف ذلك . جوابه حاضر دائما .

واريك : (الذى اعتراه الملل ، فجأة الى كوشون .) مولاى لا شك أن كل هذا مهم جدا بالرغم من أني اتوه فيه بعض الشيء كما تفعل هذه الشابه ولكننا اذا سرنا على هذا المنوال ، فلن نصل الى القضية ابدا . لن نحرقها ابدا . فلتمثلها ، فلتمثل قصتها الصغيرة ، ما دام يبدو أن ذلك ضرورى ، ولكن بسرعة ، ولنصل الى جوهر الموضوع . ان حكومة جلاله الملك فى أمس الحاجة الى تحقير هذا الملك الصغير المتعفن المدعو شارل ، وأن تعلن على مسمع العالم المسيحي أن تتويجه لم يكن الا احدى المساخر ، وان التى تزعمه ساحرة ، ملحدة ، مغامرة ، فتاة جنود ..

كوشون : اننا لا نحاكمها ، يا مولاى ، الا باعتبارها ملحدة .

واريك : أعرف ذلك ، ولكنى ، أنا ، مضطر للرجوع الى جنودي واخشى أن تأتي حيثيات حكمكم

مخيبــة لآمالهم بعض الشيء • فالدعاية شيء اجمالى ، يا سيدى المطران ، لا تنسى ذلــك • المهم أن تقــول شيئا ضخما جدا ، ثــم لا تفتأ تكرره ، على هذا النحو تصنع منه حقيقة • هذا الذى أقوله لك فكرة جديدة ، ولكنى مقتنع بأنها ستشق طريقها •• أما بالنسبة الى فانه من لازم اللازم أن تجعل من هذه البنت إنفه شيء •• أيا كانت • وأما ما هي عليه فى الواقع ، أمر لا أهمية له مطلقا في نظر حكومة جلالة الملك • وأنا شخصيا لا اســتطيع أن أخفي عليك أنني بالأحرى أستلطفها واستلطف طريقتها فى القامكم الحجر جميعا ، وأجد أنها تجيد ركوب الخيل ، وهو أمر نادر بين النساء •• أنها فتاة كنت لا أجد غضاضة فى الاستمتاع بصحبتها لو تغيرت الظروف وكانت من طبقتي الاجتماعية • ولـكن من سوء الحظ حدث هذا التتويج الوقــح ؛ وكانت هي أول مــن فكر فيــه •• وأخيرا ، يامولاى ، يا لها من وقاحة ، وأى وقاحة ، أن يذهب شخص من آل فالوا ليتوج نفسه ملكا على فرنسا تحت سمعنا وبصرنا ؟ وأن يفعــل هذا في رانس ، في عقر دارنا ؟ أن يجرؤ علــى

اختطاف فرنسا من بين فكينا ، أن يسلب التراث الانجليزى وهو آمن مطمئن من حسن الطالع أن الله مع الحق الانجليزى • وقد برهن على ذلك في آزنكور • الله وحقنا ، انهما معنيان يمتزجان الآن كل الامتزاج • هذا الى أن ذلك شعار سلاحنا • اذن سارعوا بجعلها تقص حكايتها الصغيرة واحرقوها ، ولينته الأمــر • لقد كنت أمزح منذ لحظة فبعد عشر سنين سيكون العالم بأسره قد نسى هذه القصة •

كوشـــون : (يتنهد •) يسمع منك الله ، يا مولاى •

واريك : اين كنا من الموضوع ؟

الأب : (يتقدم بهراوته •)

كنا في اللحظة التى وجدتها فيها تحلم يعلم الله بمن ، تلك البغى الصغيرة • وأقسم لكم ان ذلك لن يمر بسلام !

(يندفع نحو جان ويرفعها من رسغها بعنف •)

ماذا تفعلين هنا ؟ قولى ؟ أجيبى ماذا تفعلين هنا، والعشاء قد وضع وأمك في غاية القلق ؟

(جان تتمتم ، خجلة من مفاجأة أبيها لها ، ويدها مرفوعة لتحمى بهـا وجههـا كما تفعل البنت الصغيرة •)

جـان : لم أكن أعرف أن الوقت قد تأخر الى هذا الحد لقد فقدت الاحساس بالوقت •

الأب : (يهزها ، صائحا •) :
آه ! لم تكونى تعرفين أن الوقت قد تأخر الى هـذا الحد ، أيتهـا الشريرة الصغيرة ؟ آه ، لقد فقدت الآن الاحساس بالوقت ؟ ارجو الله ألا تكونى قد فقدت شيئا آخر لا تجرئين على قوله ! •• (يهزها بطريقة شنيعة •)
من الذى جعلك تفقدينه، قولى ، من الذى جعلك تفقدين الاحساس بالوقت ، يا فاجـرة ؟ حين وصـلت كنت تتكلمين ، كنت تصيحين بكلمة الوداع لشخص ما • لشخص أخطأته هذه المرة ، لا أدرى أين ذهب هذا الوغد ، ولكنه لن يخسر شيئا من جراء الانتظار ، هذا المأفون ! مع من كنت تتكلمين ؟ أجيبي ! والاهرستك كما يهرس الحجر ••

جـان : مع الملاك ميكائيل •

الأب : (ينهال عليها بصفعه مدوية .)
خذى ! سيعلمك ذلك كيف تسخرين من أبيك
هيه! كنت على موعد مع الملاك مكائيل ، أيتها
الفاسقة الصغيرة ؟ هيه ! تبقين هنا في المساء
لتكلميه تحت الأشجار ، بينما كل أسرتك تقلق
عليك وتنتظرك ، أيتها البنت الفاسدة ؟ هيه
تريدين أن تبدئى فضائحك منذ الآن، كالأخريات،
بدلا من أن تساعدى أباك وأمك وتتزوجى الشاب
الجاد الذى يختارانه لك ؟ نعم ! هذا الملاك
ميكائيل الذى تدعينه سأفتح بطنه بفأسي
وسأغرقك في الماء بيدى هاتين كقطة قذرة تجرى
بحثا عن اللقاح كما تفعلين !

جان : (تجيب بهدوء على وابل الشتائم .)
أنا لم أرتكب ما يسيء يا أبي ، انه حقيقة
مولاى الملاك ميكائيل الذى كان يكلمنى .

الأب : وحينما تأتين الينا منفوخة البطن بعد أن تدنسى
شرف أبيك وتقتلي أمك هما وكمدا وتضطرى
اخوتك للانخراط فى الجيش ليفروا من العار
الذى سيملأ القرية ــ حينئذ ربما يكون الروح
القدس هو الذى صوب هذه الضربة ! سأقول

ذلك للقسيس ، سأقول له أنك لم تقنعى بالفساد، فأضفت اليه الالحاد ، وتفسرين على الخبر والماء ، ويلقي بك لكي تتعفني في قاع أحد الأديرة !

جان : (تجثو أمامه .)
أبى ، كف عن الصياح، أنت لا تستطيع أن تسمع قولي . أقسم لك بالرب أنى أقول الحقيقة . وقد مر وقت طويل وهم يأتون لرؤيتى وسؤالي . ويأتون دائما وقت صلاة الظهيره . أو وقت صلاة المساء ، دائما حينما أكون فى قمة طهارتى وأقرب الى الله منى فى أى وقت آخر وهذا لا يمكن الا أن يكون حقا يظهر لى الملاك ميكائيل، وكذلك القديسة مرجريت والقديسة كاترين انهم يكلموننى ويجيبوننى اذا سألتهم ، ويقول لى الجميع نفس الشىء .

الأب : (يضربها .)
لماذا يكلمك الملاك ميكائيل ؟ أيتها البلهاء المسكينة أترينه يكلمني ، أنا ، أبوك ؟ لو كان لديه شيء يريد أن يقوله لنا ، لكان من اللازم

أن يخاطبني أنا ، رب الأسرة ، على ما يبدو لى •
أترينه يكلم قسيسنا ؟

جـــان : أبى ، أبى ، بدلا من أن تضرب وتصيح ، حاول مرة واحدة أن تفهمنى • انى وحيدة الى هـــذا الحد صغيرة الى هذا الحد ، والحمل ثقيل الى هذا الحد ، وهذه سنوات ثلاثة تنقضى وأنــا أقاوم ، سنوات ثلاثة وهم يقولون لى دائمــا نفس الشيء • لم يعد فى طوقي أن أقاوم وحدى هـــذه الأصوات التي أسمعهــا • سيتحتم على الآن أن أفعل ما تريد •

الأب : (ينفجر •)
أتسمعين الآن أصواتا ؟ هذه مصيبة المصائب ؛ بنيتى تسمع أصـــواتا • ســأكون قد اشتغلت أربعين عاما من حياتي وكدت أقتل نفسى من أجل أن أربى أولادى فى أحضـــان المسيحية ، وذلك كله لكى تكون لي بنت تسمع أصواتا !

جـــان : سيتحتم على الآن أن أقول لها نعم ، تقول لى ان ذلك لم يعد يحتمل الانتظار •

الأب : ما هذا الذى لم يعد يحتمل الانتظار ، ياغبية ؟
ماذا تريد منك أن تفعلى هـــذه الأصـــوات ؟

أصواتهم على كل حال ! لا شك أن ذلك خير من الصمم •

جـــان : تقول لى أن أذهب لانقاذ مملكـــة فرنسا التى يتهددها خطر الهلاك • أهذا حق ؟

الأب : وهذا كشف جديد ! من المؤكد أن خطر الهلاك يتهدد مملكة فرنسا ونحن خير من يعرف ذلك ، نحن أهل الشرق ، وبوجه خاص فى هذا الركن الذى يكثر فيه جنود الانجليز • ولكن ليست هذه هى المرة الأولى وأغلب الظن أنها لن تكون الأخيرة التي تتعرض فيها مملكة فرنســا لخطر الهلاك ، وهى تنجو منه فى كل مرة • دعيها بين يدى الله • ماذا تستطيعين فعله فى هذا السبيل ، أيتها البنت المسكينة ؟ بـــل ماذا يستطيعه رجل، اذا لم تكن مهنته القتال ؟ لا يستطيع شيئا •

جـــان : أنا أستطيع • هذا ما قالته لى الأصوات •

الأب : (ساخرا •)
لعلك أوسع حيلة من قوادنا الكبار الذين لـــم يعودوا يستطيعون فى أيامنا هذه الا الاستسلام لطحن الضربات تفرى أجسامهم ؟

جـــان : نعم ، ياأبى •

الأب : (محاكيا اياها ٠) :

نعم يا أبى ٠ ربما لم تكونى فاسدة ، بل أسوا من ذلك ٠ أنت مجنونة ٠ ماذا تستطيعين اذن ، أيتها المعتوهة المسكينة ؟

جـان : ما تقوله لى الأصوات ٠ أطلب حراسة مسلحة من السيد دى بودريكور ٠٠٠ (عندما سمع بودريكور ذكر اسمه نطق بكلمة « آه ! » علامة للرضى ، وأراد أن يتقدم ٠٠٠ يهمس أحد فى أذنه : « لكن لا ، لكن لا ، بعد قليل » ٠٠٠ ويقتنع بأن يعود الى الدخول فى الصف ٠)

٠٠٠ وحين أحصل على حراستى ، أذهب الى ولى العهد فى شينون ، وأقول له أنه هو الملك الحقيقي ، وأقوده على رأس جنوده لانقاذ أورليان ، وأتوجه الى رأس بالزيت المقدس على يد مولاى كبير المطارنة ، وألقي بالانجليز فى البحر ٠٠٠

الأب : (الذى فهم كل شيء ٠)

آه ، أخيرا هاأنت ذى تعربين عن نفسك ، أيتها البنت القذرة ! تريدين أن تذهبى وراء الجنود الذين يروقونك كأحط وأقذر فتاة ؟ ٠

جـان : (تبتسم ابتسامة غامضة .)
كـلا ، يا أبي . بل الأولى ، فى المقدمة ، وسط السهام ودون أن أنظر لحظة واحدة الى الخلف، هكذا قالت لى الأصوات ، الى أن أنقذ فرنسا.
(وفجأة تضيف قائلة بنغمة حزينة .)
وبعد ذلك ، سيكون ما أراده الله .

الأب : (خارجا عن طوره وهو يتخيل هذا المستقبل) .
تنقذين فرنسا ؟ تنقذين فرنسا ؟ ومن سيحرس بقراتي خلال هذا الوقت ؟ أتظنين أني ربيتك وقمت بكل هذه التضحيات التى عملتها من أجلك لكى تذهبى للتسلية مع الجنود بحجة انقاذ فرنسا ، فى هذا الوقت الذى وصلت فيه الى السن التي يمكن فيها أن تكونى نافعة فى المزرعة ؟ ياسلام ! سأعلمك ، أنا كيف تنقذين فرنسا . (يندفع عليها ويغمرها بالصفعات والركلات بصورة وحشية .)

جـان : (تصيح وهى تتمرغ فى الارض تحت ركلات أبيها .) كفى ، يا أبي كفى ! كفى !
(الأب يحل حزامه ويبدأ فى الهابها به ، وهو يلهث من المجهود الذى بذله .)

لادفنـــو : (ينهض شاحب الوجه تماما •)
أوقفوه ! ، ما هذا ! انه يؤذيها !

كوشــون : (بهدوء •)
هذا ما لا نستطيعه ، يأخ لا دفنو • نحــن لا نعرف جان الا فى المحاكمة • ليس فى مقدورنا الا أن نقوم بلعب أدوارنا ، كل ودوره ، حسنا كان أم سيئا ، على نحو ما هو مسطور ، ولا يصح أن يتخطى أحد دوره الى غيره •
(ويضيف قائلا •)
وبعد قليل سنوجه اليها ايذاء أشد من هــذا ، وانت تعرف •
(يعود الى الالتفات نحو واريك •)
مؤلم ، هذا المنظر العائلى العابر ، اليس كذلك ؟

واريك : (يقوم باشارة •)
لماذا ؟ فى انجلترا ايضا ترانا من اشد أنصــار العقوبات البدنية بالنسبة للأطفال ، فهذا يـكـون الشخصية • أنا نفسى كثيرا مــا ضربت حتى أشرفت على الموت • ولعلك تجد أن ذلك لم يمنعنى من أن أكون على خير حال •
(الأب توقف ، منهوك القوى ، يجفف عــرق

جبينه ويصيح فى جان المغمى عليهـا تحـت قدميه •)
هيا ، أيتها الشريرة ! ألا تزالين تريدين انقـاذ فرنسـا ؟
(يلتفت نحو الآخرين،ويبدو عليه بعض الحرج•)
ماذا كنتم تفعلون ، أيها السـادة ، لو كنتم فى مكانى وقالت لكم أبنتكم مثل هذا الكلام ؟

واريك : (يحيد ببصره عن هذا الجلف ، ويستمر فى كلامه ببرود •)
شىء واحد يؤلمنى ويدهشنى • وهـو تراخى مصلحة المعلومات عندنا فى هذه المسألة • كـان علينا منذ البداية ، أن نتفاهم مع هذا الرجل •

كوشـون : (يبتسم •)
نعم ، ولكن لم يكن فى امكان أحد أن يتنبـأ بما كان •

واريك : مصلحة معلومات جيدة يجب عليها دائما أن تتنبأ بكل شىء بنت صغيرة ممسوسة فى مكان ما من احدى القرى النائية وتتكلم عن انقاذ فرنسا • يجب أن يعرف ذلك على الفور ،وأن يتم التفاهم مع الأب لكى يضع من دونها المتاريس ويقضى

على المسألة وهى فى البيضة ••• هذا يكلف ثمنا
غاليا فيما بعد •••
(يشرع من جديد فى استنشاق وردته •)

الأم : (تتقدم •) لقد قتلتها •

الأب : ليس هذه المرة ــ ولكن اذا تكلمت بعد ذلك عن
الذهاب مع الجنود ، فسأغرقها ، بنتك هذه ، فى
نهر الموز ، أتسمعين ؟ بيدى هاتين • واذا لم أكن
موجودا ، فانى أبيح لأخوتها أن يقوموا بهــذا
العمل مكانى •••

الأم : جان ،صغيرتىجان ••• جانيت ! ••• أقد أذاك؟

جــان : (مذعوره فى بادىء الأمر ، ثم تتعرف على أمها ،
تنطبع على شفتيها ابتسامة صغيرة بائسة •)
نعم لقد كانت ضرباته مبرحة •

الأم : يجب أن تتحملي فى صبر ، أنه أبوك •

جــان : (بصوتها الخافت •)
انى اتحمل ، يا أمى • وكنت أدعو له طــوال
الوقت الذى كان يضربنى فيه • لكى يغفر لــه
الرب •

الأم : (مصدومة رغم كل شيء •) •• ليس لله أن

يغفر للآباء الذين يضربون بناتهم ، ياجان . هذا حقهم .

جـان : (تكمل .) ولكى يفهم ...

الأم : (تربت عليها .)
يفهم ماذا ، ياعنزتى الصغيرة ؟ لماذا حكيت لـه كل هذه الحماقات ؟

جـان : (تصيح وهي فى حالة ضيق .)
يجب أن يكون هناك من يفهم ، يا أمى ،والا فأنا وحدى لن أستطيع !

الأم : (تهدهدها .)
هيا ، هيا لا ترتجفي . استرخـي قليـلا على صدرى كما كنت صغيرة ... لقد كبرت ! ... لم أعد حتى أستطيع ضمها بين ذراعيّ ... ومع ذلك فأنت صغيرتى ، وأنت تعرفين ، صنو نفسى التى كثيرا ما تبعتنى الى المطبخ متعلقة بذيـل ثوبى . وكنت دائما أعطيك جزره تقشرينهـا أو طبقا صغيرا تجففينه لكي تعملي مثل ما أعمل، كل ما أعمل ... أما أخوتك فهذا شيء آخر ، انهم رجال مثل أبيك ... لا ينبغى أن نحاول حملهم على الفهم ، هؤلاء الرجال ... يجب أن

تقول لهم نعم دائما . وهم دائما فى الحقـــل ،
فبعد أن يغادرون المنـــزل تصبح الواحدة منـــا
سيدة بيتها المتحكمة فى كل شيء . لم يكن ينبغي
لى أن أقول لك كل هذا ، ولكنك الآن امرأة ،
أصبحت كبيرة... أما أبوك فرجل طيب وعادل،
ولكن لو لم أكذب عليه بعض الشيء ــ حتى من
أجل مصلحته هو ــ أتظنين أنى كنت أستطيع
تصريف أمورى ؟ (تقول لهـــا فى أذنهـــا .)
لدى مبلغ صغير وفرته من مصاريف البيت .
فاذا أردت ، اشتريت لك منديلا جميلا مطرزا
يوم السوق القادم وستكونين جميلة .

جـــان : ليس الجمال هو الذى أبحث عنه ، يا أمى .

الأم : أنا أيضا كنت مجنونه ، أنا أيضا أحببت شابـــا
قبل أبيك ، كان جميلا ، ولكن لم تكن فى اليد
حيلة ، لقد ذهب الى الجيش ، وها أنت ذى ترين
أنى سعيدة رغم كل شيء . ماذا بك اذن ؟ لا
تخفى أى سر عن أمك . أفى حياتك شخص لا
تستطيعين حتى أن تتلفظي باسمه ؟ أهو ، مع
ذلك ، من قريتنا ؟ ربما يوافق أبوك ، فهـــو لا
يعارض زواجا مناسبا . وفى وسعنا أن نقنعـــه

بأنه هو الذى اختاره ، أيتها البلهاء الصغيرة ...
انت تعرفين الرجال ... انهم يصيحون ، انهم
يأمرون ، انهم يضربون ... ولكن النساء
يسحبنهم من أنوفهم .

جان : لا أريد أن أتزوج ، يا أمى . مولاى الملاك
ميكائيل قال لى لا بد أن أذهب ، لا بد أن ألبس
حلة رجل وأذهب لمقابلة مولاى ولى العهد لانقاذ
مملكة فرنسا .

الأم : (بقسوة .)
جان ، انى أكلمك بلطف ، ولكنى ، من جهتى ،
أنهاك عن التلفظ بالحماقات ! أولا لن اتركك
أبدا تتزيين بزى الرجال ، ابنتي فى زى رجل !
لا أدرى كيف أطيق رؤية هذا المنظر مثلا !

جان : ولكن لا بد من ذلك ، يا أمى ، لكى أستطيع
السير على الجواد وسط الجنود ! هذا ما أمرنى
به مولاى الملاك ميكائيل .

الأم : سواء أمرك الملاك ميكائيل بذلك أم لم يأمرك
به ، لن تركبى حصانا أبدا ! جان دارك على
ظهر حصان ! ماذا يقول الناس فى القرية !

جـان : ولكن الآنسة دى ڤوكولور تركب الحصان من أجل الصيد بالبازى •

الأم : لن تركبي حصانا أبدا ! ليس هذا من تقاليد أمثالك ما هذه التطلعات الى ما يفعل العظماء !

جـان : ولكن اذا لم أركب الحصان ، فكيف تريدين أن أقود الجنود ؟

الأم : لن تذهبى مطلقا لرؤية الجنود ، أيتها البنت الفاسدة موتك عندى أفضل من هذا • ألا ترين أني أتكلم كما كان يتكلم أبوك ؟ مهما يكن من شيء ، فهناك بعض النقط التي تتفق عليها • البنت تغزل ، تنسج ، تغسل ، تستقر فى البيت • جدتك لم تتحرك قط من هنا ، ولا أنا ، وسيكون هذا شأنك ، وحين تولد لك بنت فيما بعد عليها أن تسير على هذا النظام • (تنفجر بالبكاء وبصوت مسموع •)
تذهبين مع الجنود ! ولكن ماذا فعلت من شر يا ربى لكى تكون لى بنت من هذا القبيل ؟ وأخيرا أتريدين أن تريني ميتة أمامك ؟
(جان ترتمى بين ذراعيها وهى تبكى أيضا وتصيح •)

جـان : كلا ، يا أمي !

(ترفع قامتها هادئه ولا تزال الدموع فى عينيها فى حين تبتعد الأم •)

ترى يامولاى الملاك ميكائيل ، أن هـذا أمـر مستحيل ، انهم لن يفهموا أبدا • لن يتأتى لأحد أن يفهم ، يجدر بى أن أعدل عنه فورا • فقـد قال الرب يجب على المرء أن يطيع أباه وأمه •

(تجيب بصوت الملاك ميكائيل •)

ــ قبل ذلك ، ياجان ، يجب على المرء أن يطيع اللـه •

ــ (تسأل •) ولكن اذا كان الله يأمر بالمستحيل ؟

ــ اذن يجب أن أحاول المستحيل بكل هـدوء واطمئنان • أبدئى ، ياجان ان الله لـن يطلب منك شيئا بعد ذلك • هو الذى سيتولى كـل شىء • واذا ظننت أنـه يهجـرك ، اذا ترك فى طريقك عقبة لا يمكن التغلب عليها ، فذلك لكى يمعن فى مساعدتك ، ذلك لأنه يوليك ثقته ،ذلك لانه يدبر الأمر على هـذا النحو : مع جـان الصغيرة يمكنني أن أترك هذا الجبل ــ انني جد مشغول ــ انها ستدمى يديها وركبتيها ، ولكني أعرفها ،انها ستصل • وكلما ترك فى طريقك جبلا ،

وجب أن تكونى أكثر اعتزازا وفخرا ، ياجان.
ذلك أن الله يكل اليك هذا الأمر .
(برهة قصيرة ، ثم تعـود الى السـؤال .)
ـ مولاى،هل يمكن للرب أن يريد من انسان أن
يتسبب فى بكاء أبيه وأمه ، وربما فى قتلهم من
الألم ، وهو يغادرهم ؟ ما أصعب هذا على الفهم!
ـ لقد قال : جئت لا لأحضر السـلام ، بل
لأحضر السيف ... جئت لأثير الأخ ضد أخيه
والابن ضد أبيـه ... انما جاء اللـه ليحمل
الحرب ، ياجان ، لم يجىء الاله لتيسير الأمور ،
بل جاء ليجعل كل شىء أشد عسرا مما كان ، انه
لا يطلب المستحيل من كل انسان ، بل اليـك
انت وجه طلبه . انه لايرى أن هناك شيئاً ، أ
شىء ، يتجاوز حدود امكانك . هذا كل ما
الأمر .
(جان تنهض وتجيب بكل بساطة .)
ـ حسن ، سأذهب .
(صوت لا يعرف من أين يأتى ، يصيح فى الظل
فى قاع المسرح .)
ـ أيتها المزهوة !

جـان : (تنهض قلقه ، وتسأل) : من قال اني مزهوة ؟

(فترة قصيرة ، تجيب بصوت الملاك •)
ــ انه أنت ، ياجان • وبمجرد أن تبدئي ما يطلبه الله منك ، سيهب العالم كله ليقول عنك ذلك ويجب أن تكونى متواضعة بين يدى الله لكى تقبلى هذا الرداء من الكبرياء •
ــ سيكون ثقيلا ، يامولاى •
ــ نعم • سيكون ثقيلا • والله يعلم أنك تملكين القوة •
(لحظة صمت • تنظر أمامها فى خط مستقيم ، ثم تعود فجأة فتاة صغيرة وتتعجب فى مرح وتصميم وهى تضرب بيدها على فخذها •)
ــ حسن • لقد عزمت • ورأيت • سأذهب الى خالى دوران • فهذا ، أستطيع أن أجعل منه ما أريد • أستطيع أن أجعله يدور كديك الهواء• سأطبع قبلتين من فمي على خديه وأقفز فوق ركبتيه ، سيشترى لى طرحة جديدة ويصحبنى الى ڤوكولور !

الأخ : (مستمر فى العبث فى أنفه ، يقترب منها •)
أيتها البلهاء ! ••• أيتها البلهاء المسكينة ! •••
هل بك حاجة لأن تحكي كل هذا لأبويك ؟ ••
اذا أعطيتني مليما أشترى به مضغة دخان ، فلن

أقول لهم ، فى المـــرة المقبلة ، انى رأيتك مـــع عشيقك .

جـــان : (تقفز عليه فى مرح شديد .)
أهو أنت الذى قلت لهم ، أيتها الحشرة ؟ هيه ! أنت الذى قلت لهم ،أيها الحلوف الصغير ؟ خذ ! هذا هو المليم ، يا رأس الـــدودة ، هـــذه هى مضغتك من الدخان ، أيها الحيوان القـــذر ! سأعلمك كيف تشى بالناس ! ...
(يتضاربان كجامعى قمامة ، تجرى خلفه مـــن خـــلال الآخرين ، تقودها المطاردة حتى بطـــن بودريكور الذى يحتل أخيرا وسط المسرح حيث دفعة اليه الآخرون وكان قد نسى أن عليه الدور ــ وفى جريها تغوص فى كرشه الضخم ورأسها فى المقدمة .)

بودريكور : (يصيح ، داخلا .)
ماذا ؟ ماذا تريد ؟ ماذا تريد ؟ ماهى حكاية هذه المجنونـــة ؟
(يستقبل جان فى بطنه ، يصرخ من شدة الألم تقف أمامه على أطراف قدميها على بعد ذراع منه ، حتى تصل الى مستوى أنفه ، وقد احتقن

وجهه من الغضب •) :
ماذا تريدين بالضبط ، أيتها البرغوثة الصغيرة ، منذ ثلاثة أيام وأنت تلعبين دور المعتوهة على باب قصرى ، وتسلين حرسي بحكاياتك المملة ؟•

جـان : (منبهرة الأنفاس من الجرى ، وقد اعتدلت على أطراف أصابعها حتى تمس طرف ذراع العملاق •) أريد حصانا ، يامولاى ، وحلة رجل وحراسة لكي أذهب الى شينون لمقابلة مولاى ولي العهد •

بودريكور : (خارجا عن طوره •)
وركلة من قدمى فى مكان ما من خلفك ، الا تريدين ذلك أيضا ؟

جـان : (تبتسم •) أرحب بذلك ، يامولاى ، وببضع صفعات طيبات أيضا هذا ما عودني عليه أبي — بشرط أن أحصل على حصاني فى النهاية •

بودريكور : (لا يزال ممسكا بها •) أتعرفين أني ما أريد أن أكون ؟ هل أخبرك بنات قريتك ؟ اذا جائتني بنت تطلب شيئا ما ، فان هذا الشيء يكون فى العادة حياة أخيها الصغير أو أبيها اللص الذى قبض عليه وهو يسلب أرنبا بريا فوق أرضي :

فاذا كانت البنت جميلة حللت الحبل من حول عنقه ــ لأنى طيب القلب ــ واذا كانت قبيحة ، شنقت المرحوم ••• ليكون عبرة لغيره ! ولكن اللائي يأتين اليّ دائما مــن الجميلات ، لأنهم يدبرون أمرهم لكي يعثروا على واحدة منهن بين بنات الأسرة ــ وعلى هذا النحو اشتهرت بالطيبة فى هذا الاقليم • اذن ، ادفعى تأخذى ، هــل أنت على علم بالتسعيرة ؟

جــان : (ببساطة •)

لا أدرى ماذا تريد أن تقول يامولاى ، الــذى أرسلنى هو مولاى الملاك ميكائيل •••

بودريكور : (يرسم ، فى خوف ، علامة الصليب بيده التى بقيت خالية •)

لا تخلطى ملائكه الفردوس بهذه الحكايات ، ياوقحه ! ••• حيلة الملاك ميكائيل هذه تصلح للحرس ، من أجل أن تصلي الي • وها أنتذى أمامى • ولست أقــول انــك لن تحصلى على حصانك • فرس عجوز مــن أجل بنت جميلــة جديدة كل الجدة ، هذه صفقة معقولة • هــل أنت عذراء ؟

جـان : نعـم ، يامولاى •

بودريكور : (الذى لم يتخل عن النظر عليها •)
تساوين الحصان • فعيناك جميلتان •

جـان : (بلطف •) المسألة أني لا أريد الحصان فقط ، يامولاى •

بودريكور : (يبتسم مستمعا •)
أنت شرهه ، أنت ! واصلى ، انك تسليننى •••
البلهاء وحدهم الذين يعتقدون أنهم غبنوا حين يدفعون أجرا فاحشا لاحدى البنات • أما أنـا فأحب أن تكلفني متعتي ثمنا غاليا • ذلك يسمح لى أن أتخيل أنى كنت راغبا حقيقة • هل تفهمين ما أريد أن أقول ؟

جـان : (فى غاية الصفاء •) كلا ، يامولاى •

بودريكور : أحسن • أنا لا أحب البنات العالمات فى السريـر ماذا تريدين فوق الحصان ؟ أشجار الغابة ،موعد قطعها هذا الخريف ، وأشعر أن مزاجى يحدينى نحو الانفاق •

جـان : حراسة من الرجـال المسـلحين ، يامـولاى ، لتصحبنى الى شينون •

بودريكور : (يتركها ، ويغير من نغمته .)
انصتى الى جيدا . أنا قد لا أخلو من بساطة .
ولكنى لا أحب أن يسخر منى أحد . أنا السيد
هنا . وقد وصل صبرى معك أقصى مداه . وفى
وسعي أيضا أن آمر بجلدك ، لأنك أقتحمت عليّ
بابى ، وأن أردك الى بيتك دون شىء مطلقا غير
علامات الكى على اليتيك . لقد قلت انى أحب
أن يكلفنى ذلك غاليا ، لكى يثير رغبتى ، ولكن
اذا كان يكلفنى مالا يحتمل ، فان الذى يحدث
معى هو العكس ــ فجأة أشعر بأنى لم تعد لدى
أية رغبة ــ ماذا تريدين أن تعملي فى شينون ؟

جـان : أن أقابل مولاى ولى العهد .

بودريكور : أنت طموحة أكثر من اللازم ، على الأقل بالنسبة
لفتاة قروية ! ولماذا ليس دوق بورجونيا ، مادمت
قد اتجهت فى هذا الطريق ؟ على الأقل ستكون
أمامك من هذه الناحية ، فرصة للنجاح ــ من
وجهة نظرية بحتة ــ ذلك لأن الدوق ديك حار
الدم ... ولأنك تعلمين أن ولى العهد بالنسبة
للحرب وبالنسبة للنساء ... اذن ماذا تأملين
منه ؟

جـان : جيشا ، يا مولاى ، أتقـدم على رأسه لانقاذ أورليان .

بودريكور : (يتركها فجأة ، مرتابا .)
اذا كنت مجنونة ، فهذا شيء آخر .
لا أريد أن أزج بنفسى فى حكاية خسيسة ...
(يذهب الى القاع لينادى .)
هيا ، بودوس !
(يقبل أحد الحراس .)

بودريكور : ضعها تحت الدش قليلا ، وزج بها فى السجن . وفى مساء الغد أرسـلها الى أبيهـا . ولكن لا تضربها فلست أريد المشاكل : انها مجنونه .

جـان : (باطمئنان ، والحارس يمسك بها .)
لا أمانع فى دخول السجن ، يا مولاى ، وسآتيك فى مساء الغد عندما يطلق سراحي . فيجدر بك اذن أن تنصت الي منذ الآن .

بودريكور : (يذهب نحوهـا مرعدا ، وهـو يضرب على صدره كالغوريلا .) ولكن ، أخيرا ، قولى لي بحق الرعد والبرق والصواعق واللعنات ، ألا تخشينني ، اذن ؟ .

جـــان : (عيناها تخترقان عينيه ، وبابتســـامة صـــغيرة مطمئنة •) كلا ، يامولاى • مطلقا •

بودريكور : (يتوقف متحيرا ويصرخ فى الحارس •) امش من هنا ! لست فى حاجة لسماع هذا • (يختفي الحارس • وبعد خروجه يســأل بودريكور ، وهو فى حالة قلق •) :
لماذا لا تخشينني ؟ ومع ذلـــك فكل الناس هنا يخشونني •

جـــان : (بلطف •) لأنك طيب جدا ، يامولاى •••

بودريكور : (يزمجر •)
طيب ! طيب ! هذا يتوقف • وقد أخبرتـــك بالثمن •

جـــان : (تكمل •) وبوجه خـــاص فى غاية الذكـــاء • (وتضيف قائلة) :
سيكون علي أن أقنع كثيرا من الناس لكي أنفذ ما طلبته مني الأصوات ، ومن حسن الحظ أن يكون أول من أمر به منهم ــ ومن يتوقف عليه كل شيء بوجه عام ــ أذكاهم جميعا بالذات •

بودريكور : (متحيرا أول الأمر ، يسأل بصوت غير عابىء ، وهو يصب لنفسه كأسا من النبيذ •)
أنت بنت غريبة • هذا حق • لماذا تعتقدين أنى فى غاية الذكاء •

جـان : لأنك فى غاية الجمال •

بودريكور : (مع نظرة مسروقة فى مرآة معدنيـة قريبـة جـدا •)
يا سلام ! منذ عشرين عاما ، لسـت أعارض فى ذلك ؟ كنت أعجب النساء ••• ولقد حرصت على ألا أسارع بالهرم ، هذا كل ما فى الأمر • ولكن من الغريب ، على أية حال ، أن أجرى حديثا من هذا النوع مع راعية غنم صغيرة لا أهمية لها بالمرة ، من أولئك اللائى لا تشـعر الا وقد سقطن عليك ذات صباح لا تدرى من أين • يتنهد •)
الواقع أنى أتحجر فى هذا المكان • فنوابى طغاة قساة ، ولا أحد هنا أسـتطيع الحديث معه • على كل حال ما دمنا قد وصلنا الى هذا الحد من التبسـط فى الحديث ، فانه يطيب لي أن

أن أعرف من فمك ما هي العلاقات التي ترين أنها موجودة بين الذكاء والجمال ، من المعتاد أن يقول الناس عكس ذلك ، ففي رأيهم أن الأشخاص الذين يتمتعون بالجمال يتصفون دائما بالغباء .

جان : الحدب وذوو الأنوف الطويلة فوق الحد هم الذين يقولون ذلك . أهم يعتقدون ، اذن ، أن الله لا يملك من الوسائل ما يمكنه من خلق شيء يتصف بالكمال ، اذا طاب له أن يفعل ذلك ؟ .

بودريكور : (يضحك ، شاعرا بالزهو .)
طبعا ، اذا نظرنا الى المسألة من هذه الزاوية ... ولكن ترين ... أنا مثلا الذى لست بالقبيح ... أتساءل أحيانا عما اذا كنت ممتازا فى الذكاء . كلا ، كلا ، لا تعترضي فقد يحدث أن أوجه لنفسي هذا السؤال ... أسر اليك بهذا ، اليك أنت بالذات ، لانك عديمة الأهمية بالمرة ... أما بالنسبة لنوابي ، فمما لا يقبل الجدل أنى أذكى منهم بكثير . طبعا ، فأنا قائد واذا لم تكن هذه القاعدة من المسلمات البديهية ، لم

يكن من الممكن أن يكون هناك جيش . ومع ذلك ... ـ لا مانع عندى من التنازل الى الثرثرة معك فى هذا.فغرابة موقفنا والاختلافات الاجتماعية الضخمة التي تفرق بيننا تجعل هذه الأحاديث التي لا غد لها عديمة الخطر ـ ... ومع ذلك فهناك أحيانا بعض المسائل التي تتجاوز حدود تفكيري . يطلب مني أن أحسم فى أمر ما من وجهة نظر تكتيكية أو ادارية ، واذا بى أجدني فجأة ، لا أدرى لماذا ، أمام هوة . الضباب . وعندئذ لا أعود أفهم شيئا ، ليكن فى علمك أنى لا أفقد ماء وجهي ، فانى أتخلص من الورطة بصرخة أو صرختين ، واتخذ قرارى بالرغم من كل شيء . المهم أنه ما دامت هناك قيادة فلا بد من اتخاذ قرار ، أيا كان . فى البداية يشعر المرء بالرعب ، ثم يتحقق بالتجارب أن الأمور كلها تستوى ... مهما كان من أمر القرار الذى يتخذ وهكذا ترين أن بودريكور ضئيل جدا . تتوق نفسي الى اتخاذ قرار هام ، قرار على نطاق البلد كله ... لا أقصد حكاية ذات أبعاد لا وزن لها ، أو الأمر بشنق بعض جنود فارين ، بل شيئا خارقا للعادة بعض

الشيء ، يلفت الي نظر المستويات العليا •••
(يتوقف عن الحلم ، ينظر اليها •)
أتساءل لماذا أقول لك كل هذا ، أنت التي لا
تستطيعين شيئا وقد تكونين ، فوق ذلك ، نصف
مجنونة •••

جان : (تضحك بلطف •)
أنا أعرف لماذا • فقد بلغوني • أصغ الي ،
يا روبير •••

بودريكور : (مفزوعا •) لماذا تناديني باسمي الخاص ؟ •

جان : لأنه الاسم الذى خلعه عليك الله • لأنه اسمك •
أما الآخر فهو أيضا اسم أخيك • واسم أبيك •
أصغ الي ، يا روبير اللطيف ، ولا تصرخ من
جديد ، فلا فائدة من وراء ذلك • انه أنا بالذات
قرارك الذى يجب أن تتخذه القرار الذى
سليفت اليك الانظار •••

بودريكور : ما هذا ؟ أتغنين علي ؟ •

جان : (تقترب •)
اصغ الي ، يا روبير • أولا كف منذ الآن عن
التفكير فى أنى فتاة • هذا يشوش تفكيرك •••
لا شك فى أن الرب لم يخلقني قبيحة ، ولكنك

ككل الرجال ، وهذه فرصة لم تكن تريد لها أن تفلت من يدك ••• وكنت تخشى أن تبدو غبيا فى نظر نفسك ••• ولكن لا تبتئس أيها الخنزير السيىء الصغير ، ستجد أخريات ، ستجد بنات غيري اذا كنت حريصا كل الحرص على ارتكاب الخطيئة ••• بنات يمتعنك أكثر مني ، ويطلبن ثمنا أقل ••• أما أنا فلست أروقك الى هذا الحد •

(يتردد قليلا ، يخشى أن يكون مخدوعا ، ويغضب فجأة•) روبير ، اذا أردت أن أساعدك ، فساعدنى أنت الآخر ! وكلما قلت لك الحقيقة ، وافق على ما أقول وأجبنى بنعم ، ودون ذلك لن يستقيم لنا أمر •

بودريكور : (يزمجر ، نظرته هاربة ، وعليه سيما الخجل بعض الشيء •) اذن ، لا •••

جان : (بقسوة •) كيف لا ؟ •

بودريكور : أريد أن أقول : نعم ••• هذا حق • لست أشتهيك بدرجة كافية ••• (يضيف بصورة مهذبة •)
لا تنسي أنك ، مع ذلك ، قطعة تبارك الخلاق ! •

جـــان : (بسذاجة الطفلة •)
عظيم • عظيم • لا تكلف نفســك كل هذه المشــقة يا عزيــزي البدين روبــير • فهذا لا يضايقني ، بل على العكس • وبعد أن انتهينا من تصفية هذه المسألة ، تصور أنك قد أعطيتني ملابس الرجال بالفعل وأننا نتناقش نحن الاثنان، كما يتناقش رجلان طيبان ، بتمعن وهدوء •

بودريكور : (لا يزال مرتابا •) استمرى •••

جـــان : (تجلس على حافة المنضدة ، وتشرب ما تبقى فى قاع الكأس من نبيذ •)
عزيزي روبــير البدين ، قــرارك بين يديك • ضربتك المدوية التي ستلفت اليك أنظار الجهات العليا ، تبدأ الآن من فورها • تأمل الحال التي هم عليها فى بورج • انهــم لا يعرفون الى أي جانب ينحازون والانجليز فى كل مكان ، اقليم بريطاني ، واقليم الأنجو ينتظران حتى يعرفا من على استعداد للدفع أكثر من الآخر • أما دوق بورجونيا ــ الذى يلعب لعبة الفارس الشجاع بنشيان القلادة الذهبية الجديد ــ فانه ، على أية حال ، يعرقل خطاهم ، ويمحو بكل لطف جميع

الفقرات المعوقة فى المعاهدات • كنا نظن أنه يمكننا ، على أقل تقدير ، أن نعول على حياده ••• ولكن هذا الحياد كلفنا غاليـــا • وتقول آخر الانباء انه يتكلم فى زواج ابنه بأمـــيرة انجليزية • أتعى هذا ؟ والجيش الفرنسي ، أنت تعرفه جيدا • فتيان صـــالحون قادرون على تســـديد الحراب وكيل الضربات ، ولكنهـــم مهيضو الجناح ، وقد وقر فى اذهانهم أنه لم تعد هناك جدوى ، وأن الانجليز سيظلون دائما هم الأقوى • ودونوا ، الابن غير الشرعي ، قائد ماهر ذكي ، وهو أمر نادر الوجود فى الجيش ، ولكن لا يصغى اليه أحد ، وكل ذلـــك قد بدأ يصيبه بالضيق • وها هو ذا يقصف ويعربد مع عواهره فى معسكره ــ ولكن ذلك أيضا سأمسه بيد الاصـــلاح ، ولن يضيره الانتظار ــ ثم أنه يعتقد أنه سيد عظيم جدا ، كجميع الأبناء غير الشرعيين ••• وفوق كل شيء فان أمور فرنسا ليست أموره ، فليتحرك هذا العليل شـــارل ليدبر أمر تراثه ، أما أمثال لاهـــير وسانترای فثيران هائجه يريدون أن يهاجموا دائما ، وأن يكيلوا بسيوفهم طعنات هائلة تتكلم عنها كتب

التاريخ ، انهم أبطال المفاخر الفردية ، ويعرضون أنفسهم للقتل دون جدوى ، كما حدث في أزنكور نعم ! اذا تعلق الأمر بتقديم أنفسهم وقودا للقتل فهم حاضرون : كلهم متطوعون ! ... ولكن لا جدوى من ملاقاة الموت . أنت تفهم ، يا صغيري روبير ، أن الحرب ليست شوطا من اشواط كرة القدم أو مباراة رياضية ، لا يكفى أن يلعب فيها المرء بكل قواه ، مع احترامه لقواعد الشرف ... لا بد من النصر . لا بد من الحيلة والذكاء . (تلمس جبهته .)

لا بد لما بداخل هذا الرأس أن يعمل . وانت ، أنت الذى تمتاز بالذكاء ، تعرف أكثر مما أعرفه أنا .

بودريكور : كنت دائما أقول ذلك . لم يعد الناس يفكرون بدرجة كافية ، فى أيامنا هذه . أنظرى الى نوابى . أفظاظ على استعداد دائم لضرب السكان ، هذا كل ما عندهم ولكن الذين يستطيعون التفكير ، لا أحد يحلم بالاستفادة منهم .

جـــان : لا أحد . ولذلك ينبغي أن يتصدوا هم أنفسهم للتفكير فى ذلك مع كل ما يفكرون فيه.وبالذات انت الذى مُنحت نعمـــة التفكير ، تصبح ذات صباح مشرق ، فتجد فكرة فى رأسك ، فكرة عبقرية تستطيع أن تنقذ كل شي ء..

بودريكور : (قلقا .) فى رأسي فكرة ؟ .

جـــان : دعها تأت . أنت فى سبيل الحصول عليهـــا . ففي رأسك ، حيث يجرى كل شـــيء بسرعة ، وحيث يوشك النظام أن يصل الى تمامه ، تراك تعيد ترتيب الأمور وتضع كل شـــيء مكانه فى نفس اللحظة التي نحن فيها . مظهرك لا يوحي بشيء من ذلك ، وهذا هو سر عظمتك ، ولكنك تضع كل شيء فى نصابه . أنت فى سبيلك الى صفاء الرؤية . من الأليم أن أقول ما سأقول ولكن الذى لا شك فيه أنـــه لا يوجد الآن فى فرنسا من يرى الموقف بوضوح وصفاء ذهن .

بودريكور : أتعتقدين ذلك ؟ .

جـــان : هذا ما أؤكده لك .

بودريكور : وماذا أرى ؟ .

جــان : ترى أنه يجب ان تتفجر فى الناس روحا ، فى هذه المرة ، أن نمنحهم شيئا ما يتصف بالبســاطة • وهناك فى احدى قرى قيادتك فتاة صغيرة ظهر لها الملاك ميكائيل وكذلك القديســه كاترين والقديسة مرجريت ، كمــا تقــول هي • اني أوافقك • أعرف انك ســتقول : أنك لا تعتقد ذلك • ولكن لنتغاض عن هذه النقطة ، مؤقتا ، وهذا فى الحقيقة هو سر سموك •أنت تقول هذه راعية غنم صغيرة لا وزن لها ولا قيمة ليكن ! ولكن لنفترض أن الله معهاحقا ، وحينئذ لا يمكن لأية قوة أن توقفها وسواء أكان الله معها أم لا ، فهذه مسألة مصادفة • لا يمكن لأحد أن يبرهن على صحتها ، ولكن لا يمكن لأحد أيضا أن يقيم الدليل على بطلانها ••• وها هي ذى قد جاءتني فى عقر دارى ، بالرغم مني وهذا أمر لايحتمل المناقشة ، فهو حقيقة واقعة • أنت شــاهدها • حينئذ ، وبشــكل مفاجيء ، تولد فكــرتك ، فكرتك التي بدأت تتكون فى رأسك • فتقول : اذا كانت قــد أقنعتني ، أنا ، فلماذا لا تقنــع ولي العهــد ودونوا وكبير المطــارنة ؟ انهم ، فى نهاية الأمر ، أناس مثلي • وبالأحرى أقل مني

ذكاء ، وهذا فيما بيننا • لماذا لا تنجح فى اقناع جنودنا الذين اذا وزنا كل شيء بميزان ، ليسوا أقل من الانجليز ، بل انهم قد جبلوا بالضبط على ما جبل عليه الانجليز ، نصف شجاعة والنصف الآخر رغبة فى الدفاع عن النفس ، ومن هنا فانه يكفي أن ينهالوا على رءوسهم بالضربات وفى اللحظة المختارة ، لكي يجبروهم على النجاة بجلدهم ويفترقوا عن أورليان ؟ ولكن ما الذى يحتاج اليه هؤلاء الفتيان فى نهاية الأمر — هذا ما ستقوله فى هذه اللحظة نفسها فى رأسك الذى يرى أوضح مما يرى الآخرون — انهم يحتاجون الى علم والى شخص ما يلهب حماسهم ويقنعهم بأن الله معهم • واذن فهنا تصبح ، أنت ، رجلا عظيما فى غمضة عين •

بودريكور : (فى حالة يرثي لها •) أتظنين ؟ •

جان : عظيم ! أنا التي أقول لك ذلك ، يا روبير ، ولكني لست وحدى التي أقوله • سترى بعد قليل ، يا روبير ، أن العالم كله سيجمع على هذا الرأى — وأنت واقعي ككل عظماء الساسة • وستقول فى نفسك : أنا ، بودريكور ، لست

واثقا من أنها مبعوثة الله • ولكن سواء أكانت
مبعوثةالله أم لا ، فسأتظاهر بتصديقها وسأرسلها
اليهم بهذه الصفة • فاذا صدقوها انتهى الأمر •
وبالذات لدى بريدى الذى يجب ارساله غدا
صباحا •••

بودريكور : (مأخوذا •) من قال لك ذلك ؟ انه سر •

جـان : لقد تقصيت الأخبار • (تستمر •)
أنتقى ستة فتيان شداد من أجل الحراسة
وأعطيها جوادا ، وأبعث بالصغيرة مع البريد •
وفى شينون ستدبر أمرها بنفسها كما أعرفها •
(تنظر اليه باعجاب•) هيه ، أتعرف ، ياروبير ! •

بودريكور : مـاذا ؟ •

جـان : لا بد أن تكون فى غاية الذكاء حتى تفكر كل
هذا التفكير •

بودريكور : (يجفف عرق جبينه ، مرهقا •) نعم •

جـان : (تضيف بلطف •)
فقط بالنسبة للحصـان ، اعطني واحدا هادئا ،
فأنا حتى الآن لا أعرف الركوب •

بودريكور : (مازحا •) سيتحطم رأسك ، يابنتي •••

جـان : أتظن ! الملاك ميكائيل سيحفظني • فكرة ! أنا أراهنك ، يا روبير • أراهنك على حلة ــ حلة الرجل التي لم تعدني بها حتى الآن ــ فى مقابلة لكمة متينة على أنفك • مر باستحضار جوادين فى الفناء ، وسنقوم بالسباق لحظة من الزمن ، واذا سقطت ، فلا تصدقني • أليست هذه هي الأصول ؟ • (تمد له يدها •)
كفك ! جحش من يرجع فى كلامه ؟ •

بودريكور : (يقف •)
كفك • الحقيقة أنى فى حاجة الى بعض الحركة لعلك لا تصدقينني،ولكن التفكير شيء مرهق •
(ينادى •) بودرس !
(يظهر الحارس •)

ـارس : (مشيرا الى جان •) أزج بها في السجن ؟ •

ودريكور : كلا ، أيها المعتوه ! أعطها سروالا ، وأحضر لنا جوادين • سنقضي لحظة من الزمن فى السباق معـا •

الحـارس : لكن ، المجلس ؟ الساعة الرابعة •

بودريكور : (بكبرياء •) غدا ! أما اليوم فقد فكرت بما فيه الكفاية •

(يخرج • جان تمر أمام الحارس مبهوتا وتخرج له لسانها ، يختفون بين الأشخاص الآخرين في ظل المسرح •)

واريك : (الذى تابع المنظر كله ، مستمعا ، لكوشون •) من الواضح أن هذه البنت على شيء ! اعجبتني كثيرا طريقتها فى قلب كيان هذا المعتوه وجعله يعتقد أنه هو الذى يفكر •

كوشـــون : من جهة ذوقي الشخصي ، أجد فى هذا المنظر شيئا من الفظاظة • وينبغي لها على أية حال أن تجد لها مع شارل طريقة خيرا من تلك •

واريك : مولاى المطران ، فى مهنتك كما فى مهنتي ، أجد أن طرائقنا لا تختلف عن طرائقها • ما معنى أن نحكم الناس ـــ سواء أكان ذلك عن طريـــق هراوة الحاكم أم عصا القس ـــ الا أن نجعل البلهاء يعتقدون أنهم هم الذين يرون بأنفسهم ما نحملهم نحن على رؤيته ؟ •
لا حاجة لتدخل الرب فى هذا الموضوع • وذلك ما يسليني فى هذا المنظر • (يميل فى أدب نحو المطران •)
اللهم الا اذا كان المرء مضطرا الى ذلك بحكم

المهنة ، كما هي الحال بالنسبة اليك ، طبعا •
(يسأل فجأة •)
هل أنت مؤمن حقا ، يا مولاي المطران ؟ اغفر لي فظاظتي ، ولكننا وحدنا •

كوشون : (ببساطة •)
ايمان طفل ، يا مولاي • ولذلك تراني أقدم اليك ما يشغلك خلال هذه القضية • لذلك ترانا ، مساعدى وأنا ، نحاول بأقصى طاقتنا أن ننقذ جان • وبالرغم من أننا كنا متعاونين صادقين مع النظام الانجليزي الذى كان يبدو لنا حينئذ أنه الحل الوحيد لحالة الفوضى الشاملة • ستعرفون ان شرفنا ، شرفنا الجريح قد عمل المستحيل ضدكم ، ونحن نعيش بنقودكم وعلى باب محكمتنا ستمائة جندى من جنودكم ••• لقد كان من أسهل الأمور عليهم فى بورج ، وهم تحت حماية الجيش الفرنسي ، أن يصفونا بالخونة المأجورين ! أما نحن فقد كنا فى رووان المحتلة ! •

واريك : (ممتعضا •)
لا أحب كلمة «محتلة» أنت تنسى معاهدة تروا •

لقد كنتم على أرض صاحب الجلالة ، لا أكثر ولا أقل •

كوشـــون : محوطين بجنود صاحب الجلالة واعدام رهائن صاحب الجلالة • خاضعين لنظام منع التجول ولرحمة التموين لدى صاحب الجلالة • لقد كنا بشر وكانت نقطة ضعفنا أن أردنا أن نحيا وأن نحاول انقاذ جان فى نفس الوقت • كان دورا هزيلا من جميع الوجوه •

واريك : (مبتسما •) في يدكم أنتم أن تجعلوه أكثر بريقا وأن تكونوا من الشهداء ، يا عزيزي • جنودى الثمانمائة على أتم استعداد •

كوشـــون : كنا دائما على علم بذلك • وكان من العبث أن يوجهوا الينا الشتائم ويقرعوا أبواب بيوتنـــا بهرواتهم على أشد ما يستطيعون لكي يذكرونا هنا ، وقد تلكأنا تسعة أشهر قبل أن نسلم اليكم جان • تسعة أشهر قبل أن نحملها على أن تقول لكم « نعم » ، تلك الفتاة الصغيرة التي هجرها الجميع • وسيكون من السهل عليهم فيما بعد أن يصفونا بالمتبربرين ولكني مقتنـــع ، رغـــم ما يتشدقون به جميعا من عظيم المبادىء ، بأنهم

سيضطرون فى نهاية الأمر الى أن يكونـوا من المتساهلين • فى جميع المعسكرات •

واريك : تسعة أشهر • هذا حق • يا لها من ولادة عسرة ، ولادة هذه القضية ! ان الكنيسة ، أمنا المقدسة ، لا تعبأ بطول الوقت حينما يطلب اليها أن تلد عملا سياسيا صغيرا • وأخيرا انتهى الكابوس ! والأم والمولود فى صحة جيدة •

كوشـون : لقد فكرت كثـيرا فى كل ذلـك ، يا مولاى • صحة الأم ، كما تقول ، هي التي كانت تشغل بالنا ، وبحسن نية ضحينا بالطفل حينما اعتقدنا أنه ليس هناك ما يمكن فعله غير هذا • وكان الرب قد لاذ بالصمت منذ أن ألقى القبض على جان • فلم يعد أحد يسمعه ، ولا هي ، رغم كل ما قيل ، ولا نحن بكل تأكيد • أما نحن فقد استمررنا فى روتيننا المعروف ، اذ كان علينا أولا وقبل كل شيء أن ندافع عن البيت العتيـق ، ذلك الصرح الانساني العظيم المعقول الذى هو كل ما بقى في الصحراء خلال الأيام التي غاب فيها الرب ••• فمنذ خمسة عشر عاما كانوا قد علمونا فى معاهدنا اللاهوتية كيف ندافع عنها •

وأما جان التي لم يكن لها تكويننا المتين الأصلاب والتي كانت قد اعتراها الشك ، وأنا واثق مما أقول ، وهجرها الناس والله ، فقد استمرت هي الأخرى ، راجعة من فورها الى الله بعد لحظة ضعفها الوحيدة ، مع ذلك الخليط العجيب من التواضع والكبرياء ، من العظمة وصدق الحس ، حتى كومة النار تدخل أيضا ضمن هذا الخليط •
وحينئذ لم نستطع فهم ذلك ، فقد كنا منكمشين تحت أذيال أمنا ، وقد سددنا عيوننا ، كغلمان صغار أدركهم الهرم • ولكن هنا فقط ، فى هذه العزلة ، فى هذا الصمت من جانب اله محتجب ، يكون الرجل الذى يستمر فى رفع هامته رجلا عظيما حقا • عظيما وهو وحيد •

واريك : نعم ، أغلب الظن • ولكننا ، نحن رجال السياسة، مضطرون أن نحاول جهدنا ألا نطيل التفكير في عظمة الرجل الوحيد هذه • ونحن نقابل هذا الرجل الوحيد دائما على وجه العموم ، كما لو كان ذلك يحدث قصدا ، مع أولئك الذين نأمر باعدامهم رميا بالرصاص •

كوشـــون : (بعد برهة صمت يضيف في صـــوت مكتوم •)

أحيانا أقول فى نفسي ، من أجل أن أعزى نفسي : ما أجمل كل هؤلاء القسس الطاعنين فى السن الذين كانت كل اجابة من تلك الاجابات الوقحة تدمى نفوسهم ، ومع ذلك حاولوا ، خلال تسعة أشهر ، والسيف مسلط على ظهورهم ألا يرتكبوا ما لا يمكن اصلاحه ...

واريك : دعنا من الكلمات الطنانة ! ... ليس هناك فى السياسة شيء لا يمكن اصلاحه . قلت لك اننا سنقيم لها تمثالا جميلا فى لندن ، عندما يحين الوقت ...

(يلتفت نحو أهل شينون الذين احتلوا المنصة ، وقد أقيم اخراج صغير ، بالوسائل التي فى متناول اليد ، لمنظر قصر ، فى الوقت الذى كانا يثرثران فيه .)

ولكن لنسمع شينون ، يا مولاى . انى أشعر بأعمق أنواع الاحتقار نحو هذا الجبان الصغير ، شارل ، ولكنه كان دائما شخصية مسلية بالنسبة لي .

(شارل محوط بالملكتين وبآنييس سوريل . الطراطير الثلاث المرتفعة تتحرك من حوله .)

أنييس : لكن ، يا شارل ، هذا لا يجوز ! لا يمكنك أن تتركني أظهر فى حفلة الرقص بهذه الملابس المزرية ... خليلتك بطرطور من الموسم الماضى الا يخفى عليك أن هذه فضيحة ! .

الملكة : (تديره ناحيتها .) وملكتك ، يا شارل ، ماذا يقولون ؟ .

شارل : (الذى يلعب بخذروف يدوى ، وهو جالس متهالك على العرش.) من يسمع هذا الكلام يقول ان ملك فرنسا لا يملك مليما . وهذا صحيح .

الملكة : كأنى أسمعهن من هنا فى البلاط الانجليزي ! بلفورد ، جلوسستر ، أما خليلة أسقف ونشستر فلندعها جانبا ! فهذه امرأة تجيد اللبس حقا ! .

أنييس : أتتصور ، يا شارل ، أنهن يلبسن طراطيرنا قبلنا ؟ لا يوجد من يجدن اللبس الا فى بورج . ولولا أنهن يبعثن الرسل لشراء أزيائنا ونسخها ، لرأيت الى أى حد من قلة الذوق يصل لبسهن هناك . ومهما يكن من شيء فأنت ملك فرنسا أولا وأخيرا .

شارل : أولا ، أنا لست ملك فرنسا.هذه اشاعة أطلقتها. فهناك فرق ... ثانيا ، أدوات الزينة عندنا هذا

كل ما أستطيع بيعه للانجليز • أزياء بـورج والمطبخ الفرنسي ، هذا كل مـا بقي لدينا مما يجعل لنا شيئا من الهيبة فى الخارج •

الملكة يولاند : هذه الهيبة هي الشيء الوحيد الذى بقى لنا ، لذلك لا أرى أن هؤلاء الشـابات على خطأ • يجب أن تدافع عنهن ، يا شارل • انه مما لا بد منه أن نكون مضـطرين الى الاعتـراف بأن سيدات العصر الفرنسـي كن ، فى مثـل هذه الحفلات أحسن سيدات العالم ملبسا • وتذكر أن لم يتأت لأحد حتى الآن أن يستطيع القول أين تبدأ الترهات ••• لا بد من طرطور جديد لا يستطعن الحصول على مثله هناك • فالحقيقة أن أنييس لم تكن مخطئة كل الخطأ حين رأت أن هذا يمكن أن يساوى انتصارا •••

شـارل : (ساخرا •) انتصار لن يمنعهم من سلبنا أورليان، يا حماتي ! لاحظي جيدا أن أورليان ليست لي ، انها جزء من أملاك ابن عمي ، أما أنا شخصيا فمطمئن من هذه الناحية ، لم يعد في مقدور أحد أن يسلبني شيئا فاذا استثنينا بورج التي لاتغرى انسانا ، فاني لم أعد أملك شيئا •ولكنها المملكة،

رغم كل شيء ! ••• غير أن آخر الانباء تقرر أن أورليان لا أمل فيها ••• ومن العبث حقا أن أقدم على هجوم مضاد بواسطة الطراطير •••

أنبيس : أنت لا تتصور ، يا شارل ، خطورة هذا الأمر ، طعنة طرطور فى عين امرأة ••• أنا نفسي أقول لك أن بدفورد وجلوسستر وبوجه خاص عشيقة الأسقف التي ينبغي أن تكون أكثرهن أناقة باعتبار مركزها ، كلهن سيصبن بالدوار من جراء ذلك ! نفرض أننا أصدرنا زى الطرطور ذى الاثنتى عشرة بوصة ••• وله قرون ، أعنى عكس خطوط الطرطور الحالي على خط مستقيم أنت لا تتصور ، يا صغيري شارل ، أبعاد الضجة التي سيحدثها هذان القرنان فى كل قصور أوروبا ••• ستكون ثورة حقيقية ! •

الملكة : (تتعجب •) والكشكشة الصغيرة من الخلف ! •

أنبيس : الكشكشة الصغيرة هذه احدى الروائع ! ••• المسألة فى غاية البساطة ، ان ذلك سيطرد النوم من أعينهن يا حبيبي ••• أما أزواجهن ، الأسقف وبدفورد وجلوسستر ، فأؤكد لك أن لن يكون

لديهم ، تحت وقع الصـــدمة ، دقيقـــة واحدة للتفكير فى أورليان ! •
(وتضيف بجلال مفعم بالحكمة •)
ان كنت تريد انتصارا ، يا شارل ، فهاك انتصارا في متناول يدك ، وبأبخس الأثمان •

شـــارل : (يزمجر •) بأبخس الاثمان، بأبخس الاثمان ••• شيء مضحك ! قلت لي كم تكلف هذه الطراطير؟•

أنييس : ستة آلاف فرنك للطرطور الواحد ، ياحبيبي • هذا ثمن بخس ، اذا عرفت أنها كلهـــا مطرزة باللؤلؤ ••• واللؤلؤ معناه توظيف النقود ••• فاذا تقادم العهد على الطرطور ، تستطيع دائما أن تبيع اللؤلؤ لاحد اليهود ، وتحصل على قليل من المال من أجل جنودك •

شـــارل : (يفزع •) ستة آلاف فرنك ! ولكن أين تريدين أن أجد هذه الآلاف الستة من الفرنكات ، أيتها البلهاء المسكينة ؟ •••

الملكـــة : (بلطف •) أثنا عشر ألف فرنك ، يا شارل ، لأننا اثنتان ، لاتنسي ذلك • أيا كان الأمـــر ، فأنت لا تقبل أن تكون زوجتك أقل أناقة في لبسها من عشيقتك •

شـــارل : (يرفع يديه الى السماء •) اثنا عشر ألف فرنك !
انهن مجنونات جنونا مطبقا ! •

آنييس : ليكن فى علمك ان هناك نموذجا أبسط مــن
ذلك ولكني لا أنصحك به • فيه تفقد تأثيرك
النفسي على هــؤلاء الانجليزيات البلهــاوات
والواقع ان هذا هو ما تسعى اليه !

شـــارل : اثنا عشر الف فرنك ! انكما تحلمان ، ياقطتى •
هذا المبلغ يسدد نصف ما أدين به لرجال دونوا
الذى لم أدفع لهم مرتباتهم منذ ستة أشهر •
ولست أفهم منــك أن تشجيعهما ، ياحماتي ؛
وانت امرأة سديدة الرأى •

الملكة يولاند : اشجعهما ، لأني امرأة سديدة الرأى ، يا شارل
هل وجدتنى يوما أقف بجانبهما ضدك اذا كان
الأمر يتعلق بخيرك وعظمتك ؟ هل لاحظت على
يوما ضـــيقا فى التفكير ؟ انا أم ملكتك ، وأنا
التى قدمت للك انييس حين أدركت انها تستطيع
أن تسعدك •

الملكـــة : (متألمة بعض الشيء •) ارجـــوك يا أمي ، لا
تفخرى بذلك !

الملكة يولاند : أنييس فتاة ساحرة ، يابنيتى ، وتحفظ مكانها تماما . ونحن الاثنتان فى أمس الحاجة الى أن يحزم شارل أمره على أن يصير رجلا . والمملكة أكثر منا حاجة الى ذلك . فشيئا من السمو ، يابنيتى ، انك تفكرين فى هذه اللحظة كفتاة من صغار الطبقة الوسطى ! ... من أجل أن يصير شارل رجلا كان لابد له من امرأة .

الملكـــة : (ممتعضة .) يبدولي اني أمرأة ، وامرأته هو من فوق البيعة ! .

الملكة يولاند : انا لا أريد أن أجرحك ، ياعنزتى الصغيرة ... لكن الأمر بسيط . أنا أكلمك في ذلك لأني كنت مثلك . الاستقامةوالذكاء ــ وأكثر منك ــ كوني ملكة ، دبرى له أمور بيته ، أنجبى له ولي عهد أما الباقي فأنقضى عن كاهلك هذا العبء . لا يمكن للانسان ان يقوم بكل شيء . ثم ان الحب ليس مهنة النساء الشرفاء . اننا لا نجيده ... هذا فضلا عن انك ستعترفين بجميلي فيما بعد . فالواحدة تنام أحسن اذا كانت بمفردها ... ألا ترين أن شارل صار أكثر رجــولة منذ ان عرف أنييس ؟ أليس صحيحا ، ياشـــارل أنك أصبحت أكثر رجولة ؟

شـــارل : بالأمس قلت لكبير المطارنة ، لا . لقـد حاول أن يخفيني ، فأرسل الي لاتريموى نبح في وجهي مدة طويلة ، وهددنى بحرمانى من الغفران . ألعوبتهم الكبرى ! ... ولم أستسلم .

أنييس : والفضل لمن ؟

شـــارل : (وهو يملس على فخذها بلطف.) الفضل لأنييس! كما قد جربنا هذا المنظر بأسره فى السرير .

الملكة يولاند : (تقترب .) ماذا كان يريد كبير المطارنة ؟ انت لم تحك ني هذه الحكاية .

شـــارل : (الذى ظل يملس بصورة غير شعـورية على فخذ أنييس التي تقف بالقرب منه .)
لم أعد أذكر . أن أعطي دوق برجونيا باريس ، أو شيء من هذا القبيل لكي أحصل على هدنة مدتها عام . طبعا لم يكن لهذا الأمر أية أهمية فباريس في يد الدوق بالفعل . ولكن يجب أن يتمسك الانسان بالمبادىء . باريس هى فرنسا وفرنسا ملكى . هذا على الأقل ما أحاول اقناع نفسى به . قلت لا . فظهر الامتعاض الشديد على وجه رئيس المطارنة ، لا بد أن يكـون الدوق قد أجزل له الوعود .

أنييس : وماذا كان يحدث لوانك قلت « نعم » رغم ارادتى ، ياعزيزى الصغير شارل ؟ .

شارل : كنت تصابين بالصداع أو وجع البطن لمدة ثمانية أيام، أيتها البنت الخبيثة !ويمكنني عند الضرورة ان استغنى عن باريس ، أما عنك أنت فلا ..

أنييس : اذن ، ياحبيبى ، مادمت قد انقذت لك باريس ، فاشتر لى هذا الطرطور ، وطرطورا آخرللمكتك الصغيرة التى جرحت شعورها الآن عن غير قصد ، كما هى عادتك دائما ، أيها الولد السيىء لا أظنك تريد ان أمرض ثمانية أيام اذن لأصابك ملل لا طاقة لك به ...

شارل : (مغلوبا .) ليكن ، اطلباهما ، طرطوريكما ... اذا لم يكن كبير المطارنة هو الذى أقول له نعم فانه يتحتم علي أن أقولها لكما ، نفس المسرحية دائما ... ولكن أحذركما من أني لا أعرف مطلقا كيف أدفع ثمنهما .

أنييس : وقع له صكا على الخزانة ، يا شارل الصغير ، وسنتصرف فيما بعد ، تعالي معي ، ياصغيرتي صاحبة الجلالة لكى نقيسهما معا . أتفضلين

الوردى أم الأخضر ؟ أعتقد أن الوردى هــو الذى يناسب لون بشرتك •••

شـــارل : (مذهول •) ماذا أهما هنا بالفعل ؟ •

أنبيس : أنت لا تفهم شيئا في هــذه الأمور ، ياحبيبي ! أنت ألا تعرف أنه لابد للحصول عليهما مــن أجل العيد ، ان نوصى عليهما منذ شهر ؟ ولكنا كنا واثقات من أنك ستقول نعم • أليس كذلك ، يا صاحب الجلالة ؟ سترى الى أى حد ستأكلهن الغيرة فى لندن ! هذا انتصار عظيم لفرنسا ، كما تعرف ، يا شارل !
(تذهبان بعد القبلات •)

شـــارل : (يعود الى الجلوس على عرشه ، وهو يصفر •) انهن يضحكنني بانتصاراتهن ! لاتريموى، دونوا كلهم سواء ! دائما سينجلى الأمر عن انتصار عظيم ، لكن كل شيء يشترى بالفلوس في أيامنا هذه ، الانتصارات وغيرها • ولكن اذا لم تكن معى نقود لشراء نصر عظيم ؟ أتصبح فرنســا فوق امكانياتي (يتناول محبرته وهو يزمجر •) سترى على كل حال ! سأوقــع صكا عــلى الخزانة ! ونرجو أن يقبله التاجــر • الخزانــة

خاوية ، ولكن لا شيء على الورقة يشير الى ذلك • (يلتفت نحو الملكة يولاند •)
ألا تريدين طرطورا ، أنت أيضـــا ، ما دمنا في الموضوع ؟ لا تتحرجى • توقيعى لا يساوى شيئا على أية حال •

الملكة يولاند : (تقترب •) لقد صرفت النظــر عــن الطراطير ، ياشارل ، في سني أريد شيئا آخر •

شـــارل : (باديا عليه الملل •) أن تجعلي مني ملكا عظيما ، أعــرف ذلك ! انهم يصبحون متعبين ، في نهاية الأمــر ، كل هؤلاء الناس الــذين يريدون أن يجعلوا مني ملكا عظيما حتى أنييس ! وحتى فى السرير ! ألا ترين ان هــذا مضحك ؟ هيــه ! ما أعجب هذا ! ••• هيه ! لقد أجدت ترويضها ! متى تفهمون جميعا أني لست الا فردا بسيطا من أسرة قالوا لا قيمة له مطلقــا وأنه لا بد مــن معجزة ؟ نعم • ان جدى شارل كان ملكا عظيما ، لكنه كان يعيش قبل الحرب حيث كان كل شيء أرخص منه الآن • هذا الى أنه كان هو نفســه غنيا•••وقد بدد أبي وأمي كل شيء،لا ادرى كم مرة خفضت العملة فى فرنسا ،وأصبحت لا أملك

الوسائل التى أصبح بها ملكا عظيما ، هذا كل ما في الأمر ! وها أنذا أفعل كل ما في وسعي ــ لكي ارضي أنييس، هذه العاهرة الصغيرة التي لا أستطيع الاستغناء عنها ــ ولكن ، بينى وبينك ليست الوسائل وحدها هي التي تنقصني ، بل الشجاعة أيضا . الشجاعة أمر متعب ومحفوف بالأخطار في عالم الأفظاظ هذا الذى نعيش فيه هل تعرفين أن لاتريموى ، هذا الخنزير البدين قد سحب عليّ السيف ذات يوم ؟ كنا وحدنا لا أحد معي للدفاع عني ... وكان فى امكانه أن يضربني ضربة قاضية ، هذا الفظ الغليظ ، ولم يكن لدىّ من الوقت ما يمكنني من القفز خلف العرش الا بكل صعوبة . أتدركين الآن سوء الحال التى نحن فيها ؟ يسحب السيف فى وجه الملك ! لقد كان علي فى هذه الحال أن أدعو قائد الجيش الملكى للقبض عليه ، ولكنه بكل أسف هو نفسه قائد الجيش الملكي ، وأنا شخصيا لست متأكدا من أنى أنا الملك .. وكلهم يعاملونني على هذا النحو ، انهم يعرفون أنى قد لا أكون الا ابنا غير شرعي .

الملكة يولاند : (بلطف .)
انه أنت ، وأنت وحدك ، الذى لا تكف عن ترديد هذا الكلام ، يا شارل ...

شارل : حينما أرى سيما الأبناء الشرعيين على وجوههم الكالحة جميعا ، أشعر شعورا مجنونا بأنى ابن غير شرعى . ما هذا العصر الذى يجب على المرء أن يكون حائزا على الجائزة الأولى في الألعاب الرياضية ليكون فيه شخصا مرموقا ؟ حيث يجب على المرء ان يستل سيفا يزن ثمانية أرطال حيث يتحتم عليه أن يتحرك وعلى ظهره درع يزن لا أدرى ماذا ! ... أما أنا فانهم اذا وضعوا لى درعى فوق ظهرى ، لم أعد أستطيع الحركة ويا له من شيء مفيد بالنسبة لي ! فأنا لا أحب الطعنات . لا اعطاءها ولا تلقيها .
(يضرب بقدمة فجأة كالطفل .) ثم انى خواف!
(يلتفت نحوها ، متجهم الوجه .) ماذا تريدين أن تطلبي مني أيضا مما لا تحتمله قواى ؟ .

الملكة يولاند : ان تستقبل تلك العذراء ، ياشارل ، التى جاءتنا من ڤوكولور . انها تقول بانها مرسلة من الله . ويقلن أنها جاءت لتنقذ لك أورليان . الشعب

لم يعد يتكلم الا عنها ، وينتظرون بكل آمل أن تأذن باستقبالها •

شـــارل : اذن أنت لا تجدين أنى على ما أنا عليه لا أثير الضحك بصورة كافية ؟ أأستقبل فتاة قروية مجنونة ؟ الحقيقة أنك ، يا حماتي قد خيبت ظني فيك بعد ماكنت اعتبرك امرأة عاقلة •••

الملكة يولاند : لقد سبق أن قدمت لك أنييس ، يا شارل ، ضد رغباتي كأم ، ولكن من أجل خيرك • والآن أرجوك أن تأخذ هذه العذراء • هذه الفتاة شيء خارق للعادة ، على الأقل هذا ما يعتقده جميع الناس ، وذلك هو المهم •

شـــارل : (ضجرا •)
أنا لا أحب العذراوات • ستقولين أيضا أنى عادم الرجولة ، ولكن هذا الأمر يخيفني ••• ثم لدى أنييس التي لا تزال تعجبني ••• لست أقصد ان أوجه اليك أى ملام ، ولكنك فى حياتـــك تمارسين مهنة غريبة ، ياحماتى وأنت ملكة •••

الملكة يولاند : (تبتسم •)
انك لم تفهمنى ، ياشارل • أو لعلك تتظاهـــر بعدم فهمي • انما أطلب اليك أن تأخذ هـــذه

الفلاحة الصغيرة عضوا فى مجلسك • لا فى سريرك •

شـــارل : هنا ، أستطيع أن اقول لك ، رغم ما أكنه نحوك من احترام ، بأنك مجنونة جنـــونا مطبقا ، يا حماتي • فى مجلس ، ومـــع كبير المطارنـــة ، لاتريموس الذى يعتقد أنه من سلالة الآلهة،آخذ فلاحة صغيرة ليست لها أى قيمـــة ؟ لعلـــك تريدينهم ، اذن أن يفقئوا عيني ؟ •

الملكة يولاند : (بلطف •)
أعتقد أنكم جميعا فى حاجة الى فلاحة ، بالذات فى مجالسكم • انهم العظماء الذين يحكمون المملكة ، وهذا عدل ، فان الله هو الذى وضعها بين أيديهم ••• ولكن دون أى قصد منى للحكم على قرارات العناية الالهية ، أجدني فى غايـــة الدهشة فى أنها لم تعطهم قدرا صـــالحا من البساطة وحسن البصيرة ، هذا الذى أغدقته على أكثر مخلوقاتها تواضعا •

شـــارل : (متهكما •) ومن الشجاعة ! •

الملكة يولاند : (بلطف •) ومن الشجاعة يا شارل •

شـــارل : قصارى القول أنـــك ، يا حماتي ، اذا لم أكن مخطئا فى فهمي ، تريدين أن تعهدى بالحكومة الى الشعوب ؟ • الى هذه الشعوب الطيبة التي تستحوز على جميـــع الفضائل ؟ أتعرفين ماذا يفعل هذا الشعب الطيب • حين تعمل الظروف على وضع السلطة بين يديه ؟ هل قرأت تاريخ الطغاة ؟ •

الملكة يولاند : انا لا أعرف شيئا عن التاريخ ، ياشارل• فى زمنى لم تكن بنات الملك يتعلمن شيئا غير الغزل ، كغيرهن •

شـــارل : أما أنا فأعرفه ، أعرف هذه السلسلة المتتابعة من الشنائع والتوافه ، وفى بعض الأحيان أسلى نفسي بتخيل مسيرته المستقبلة حين تظنوننى أنى ألعب بالخذروف ••• وسـنجرب ما تتطلعين اليه • سنجرب كل شيء • سيصبح أفراد من الشعب سادة المملكة لعدة قرون ـ يعنى فترة عبور أحد المذنبات فى الجو ـ وسيكون ذلك عصر المذابح وأشنع الأخطاء • وفى يوم الحكم حين يقام الحساب سيتبين الجميع أن أفسـد أمرائهم وأثراهم بالنزوات قد كلفوا العالم ، فى

نهاية الأمر ، أقل مما كلفه هؤلاء الرجال الفضلاء .
ولى عليهم عملاقا بقبضه من حديد مختارا منهم،
لكي يحكمهم ويصر على أن يجعلهم من السعداء
مهما كلف الأمر ، وحينئذ سترين أعزائي
الفرنسيين ، وأنت منهم ، يأسفون على صغيرهم
شارل ، بكسله وخذروفه ... فأنا ، على الأقل
ليس عندي أفكار عامة عن تنظيم السعادة .
وهم لا يدرون حتى الآن أن هذا الشيء الصغير
من أقوم الأمور .

الملكة يولاند : يجب عليك أن تكف عن اللعب بالخذروف ،
يا شارل وألا تجلس بانحراف على عرشك .
فليس هذا سلوكا ملكيا ! .

شارل : دعيني . فاني اذا اخطأت ضربتي سقطت الكرة
على أصبعي أو على أنفي . وهذا لا يؤذي أحد
غيري . ولكن تصوري أني أخذت الكرة بيد
والعصا باليد الأخرى وأني أحاول من فوق
عرش ، وبدأت آخذ نفسي مأخذ الجد ، ففي
كل مرة ارتكب فيها احدى الحماقات تقع على
أنوفكم جميعا .
(يدخل كبير المطارنة ولاتريموى . يصيح فيهم

وقد جلس على عرشه بنبل كما قال •)
كبير المطارنة ، السيد القائد ، لقد وصلتما فى الوقت المناسب ! آنا أمارس الحكم • وقد حصلت على الكرة ويد العدالة •

كبير المطارنة : (يتناول عدسته المكبرة •) لكن هذا خذروف! •

شارل : لا أهمية لذلك ، يا مولاى ، كل هذه الأشياء رموز وليس من المعقول على واحد من أمراء الكنيسة أن يتعلم ذلك • هل التمست المقابلة ، يا مولاى ، حتى أراك فجأة أمامي ؟ •

كبير المطارنة : دعنا من المزاح ، ياسيدى ، أنا أعرف أن جزءا من الرأى الذى يتململ دائما ويتآمر يحاول أن يفرض عليك استقبال هذه العذراء التى يتكلم عنها الناس جميعا منذ حين • وهذا يامولاى ، ما جئنا ، قائد الجيش وأنا ، لنقول لك أننا لن نقبله أبدا !

شارل : (للملكة يولاند •)
ماذا قلت لك ؟ أيها السادة ، لقد أخذت علما بنصائحكم الطيبة ، وأشكركم • وسأبلغ بالقرار الذى سأتخذه فى هذه المسألة • والآن تستطيعان الانصراف انتهت المقابلة •

كبير المطارنة : مرة أخرى ، يامولاى ، نحن لا نلعب !

شــارل : ألا ترون ! مرة واحدة تكلمت بأعتبارى ملكا فظن الناس جميعا أنى أتسلى . (ويعود الــى الرقاد بجنب على عرشه ومعه الخذروف .) اذن دعونى أتسل فى هدوء ...

كبير المطارنة : شهرة هذه البنت بالمعجزات قد سبقتها الى هنا ، يامولاى . انصياع ليس له من تفسير . ويبدو أنهم بدءوا يتكلمون وينتظرونها فى أورليـــان المحاصرة يد الله تقودها ... شاءت ارادة اللــه أن يُنقذ فرنسا على يدها ، وأن يُرغم الانجليز على عبور البحر مرة ثانيـــة وأراجيف أخرى : ستشاء ارادة الله أن تستقبلها فى حضرتك الملكية ... لا شيء يستطيع أن يمنعها ... لا أدرى ماذا دهاهم جميعا حتى يريدوا من الله أن يتدخل فى شئونهم ! ... وهي ، بطبيعة الحال ، تظهر معجزات ، هذه الفاسقة الصغيرة ، ولو حدث العكس لأدهشني . وقد حدث أن وصفها جندى لا أدرى بماذا حين وصولهـــا الـــى شـــينون . فقالـــــت لـــــه : « مـــن الخطـــأ أن تجـــدف ، وأنت على وشك المثول بين يـــدى

الله ٠٠٠ » ولم تمض ساعة حتى كان هذا المعتوه قد سقط فى البئر المشترك عن طريق السهو ، وغرق٠وقد عملت زلة القدم هذه من جانب رجل سكران من أجل شهرة تلك البنت أكثر مما يعمل انتصار عظيم من أجل دونوا ٠ الناس كلهم ، من أحقر خادم كلب الى سيدات بلاطك ، كما يبدو لى ،مجمعون على هذا القول : لا يمكن أن ينقذنا الا هى ٠ وهذا غير معقـــول ٠ (شـــارل جلس بانحراف على عرشه وانشغل باللعب بالخذروف٠) مولاى ، أعالج أمامك مسألة من أخطر مسائل المملكة ، وانت تلعب بالخذروف ! ٠

شـــارل : مولاى ، يجب أن نتفاهم ٠ اما أنك تريد أن ألعب بالخذروف ، واما أنك تريد أن أحكم ٠ (يعتدل) أتريد أن أحكم ؟ ٠

كبير المطارنة : (مفزوعا ٠) لا نطلب منك هذا ! كل ما نطلبه أن تعترف بمجهوداتنا ٠

شـــارل : أنا اعترف بها ، وأقدرها ٠ وأجد ألا جدوى لها مطلقا ٠ كل الناس يتوقون الى أن أقابل هذه الفتاة ، أليس كذلك ؟ ٠

كبير المطارنة : أنا لم أقل ذلك ، يامولاى !

شـــارل : أنا شخصيا لا أملك ذرة واحدة من الاستطلاع وانت تعرف ذلك . المعارف الجدد لا يصيبنى منهم الا الملل ، وأنا أعرف من الناس أكثر مـــن اللازم ... ثم أن مبعوثي الاله من النادر أن يكونوا من المسلين ولكني أريد أن أكون ملكـــا خيرا . أرضى شعبي . وسأرى هذه الممسوسة ولو لم يكن ذلك الا لالقامها الحجر . أتكلمت معها ، أنت ، ياكبير المطارنة ؟

كبير المطارنة : (يهز كتفيــه .) لدى ما أعملــه غير هـــذا ، يا مولاى ، فى أمور المملكة التي تثقل كاهلي .

شـــارل : حسن . أما أنا فليس لدى شيء آخر غير اللعب بالخذروف . سأقابلها ، اذن لأقوم عنك بهذا العبء ، وأعدك أن أقول لك انطباعى عنها بكـــل صراحة . وتستطيع أن تثق فى يا مولاى . أنت تحتقرنى بكل اخلاص ، ولا تكن لى أى احترام ، ولكنك تعرف ، على الأقـــل ، أنى أخلو مـــن الجدية . ولا بد أن هذا العيب يبدو لك فى هذه الظروف مزية لاتقدر بثمن . فكل ما يتطلب الجدية سرعان ما يصيبني بالسأم . سأستقبـــل هذه الفتاة ، واذا أثارت فى الرغبة الى الكلام

معها فى انقاذ المملكة ــ وهذا ما لم ينجح معي أحد فيه دون أن يدفعني الى التثاؤب فمعنى ذلك أنها حقا تحقق المعجزات •••

كبير المطارنة : (يزمجر •) بنت فلاح لدى الملك •••

شـــارل : (ببساطة •) أوه ! أنت تعرف أنني ، الى حد ما ، أستقبل فى قصرى جميع الناس ••• لا أقول ذلك عن لاتريموى الذى ينحدر مباشرة من ســلالة الاله •• ولكنك أنت يامولاى أظنني أتذكر أن البعض قال لي يوما أنك حفيد تاجر خمور • ولست أرى أن ذلك ينتقص من قدرك بأية حال • هذا أمر طبيعى • فالواقع أنك وصلت الى الكهنوت من خلال الروتين العادى أما عنى أنا فانك لا تكف عن تذكيرى بهذه الحقيقة : وهي أنه ليس من الأكيد مطلقا أنى ابن ملك • اذن لا يجوز لنا أن نلعب هذه اللعبة الصغيرة ، لعبة الطبقات ، والا أصبحنا أضحوكة الضاحكين ••• تعالــى ياحماتى • أريد أن أمثل عليها ، على هذه العذراء الصغيرة ، مسرحية هزلية من نوع الفارس ! ••• سنجعل أحد خــدمي فى حلــة ملكية ، تكون من الحلل التى تحتوى على أقل عدد من الثقوب ،

وسنضعه فوق العرش ـ ولا شك أنه سيكون أحسن منى مظهرا ـ أما أنا فسأتوه بين الجمهور ••• وسيكون خطاب مبعوثة الله موجها الـى خادم ! ••• ويالها ، حينئذ ، من مسرحية هزلية من الدرجة الأولى ! •••

(خرجـا •)

كبير المطارنة : (للاتريموى •) أنترك لهما حرية التصرف ؟ انه يعتبر هذه المسألة لعبة كما هي عادته • ولذلك لا أعتقد أنها محفوفة بالخطر الى هذا الحد • ثم أن مجرد استقباله اياها ربما كان مـن شأنه أن يهدىء الخواطر • وبعد خمسة عشر يوما تتجه الأذهان الى مبعوثة أخرى من مبعوثات اللـه وتنسى هـذه •

لاتريموى : كبير المطارنة ، أنا قائد الجيش • وكل ما أستطيع أن أقوله لك أن الطب الرسمي قد قال الآن كلمته الأخيرة • اننا الآن فى عصر المشعوذين وأصحاب الرقى والدجالين ••• أعني باختصار من تسميتهم مبعوثى العناية الالهية • فبماذا نخاطر ؟

كبير المطارنة : (مهموما •) يا سيادة قائد الجيش، مع الله يخاطر المرء دائما بكل شيء • فاذا كان قد أرسل الينا

هذه البنت عبثا ، اذا كان قد شرع يشغل نفسه بنا ، فمعنى ذلك أننا لم ننته من مصاعبنا بعد . سنخرج من نطاق حياتنا الرتيبة ، سنكسب أربع معارك أو خمسا ، ثم تبدأ الفضائح والتعقيدات . لقد علمتني خبرتي ، باعتباري رجلا هرما في خدمة الحكومة والكنيسة ، بأنه لا يصح مطلقا اجتذاب اهتمـــام الاله . ينبغي للمرء أن يتصـــاغر ، أن يتصاغر الى أقصى حد ، ياقائد الجيش .

(أفراد الحاشية يتخذون أماكنهم حول الملكات ، خادم يحتل العرش ، في حين تسلل شارل بـين الجمهور . كبير المطارنة يكمل كلامه بصوت منخفض .) ولا سيما أنه اذا كان الأمر يتعلق بالله ، وهذه هي قمة الخطر ، فانه لا يدرى أبدا ما اذا كانت المسألة مصيدة من الشيطان ... وعلى كل حال سواء أكان اللاعب هذا أم ذاك ، فان الزهر قد ألقى ! هاهي ذي !

(أحاط الجميع بالعرش حيث يجلس الخادم الصغير شارل بين الجمهور ، تدخل جان وحدها ، ضئيلة جدا ، شيباء ، وسط الدروع والطراطير العالية ... يتباعدون ليفسحوا لها الطريق حتى العرش .

تستعد للجثو ، تتردد وقد جللت الحمرة وجهها وهي تنظر الى الخادم •••)

الملكة يولاند : (تسر اليها فى أذنهــا •) يجب أن تجثــي ، أمام الملك ، أيتها الصغيرة •
(جان تلتفت نحوها ، مرتاعة ، تنظر اليها بتعبير وجه يكاد يكشف عن الألم ، ثم تنظر فجأة الى كل الناس الذين يرقبونها صامتين ، وتتقدم فى صمت خلال الجمهور ، الذى يفسح لها الطريق، تذهب حتى شارل الذى يحاول تجنبها ،ولما يرى أنها على وشك أن تصل اليه ، يشرع فى الجرى تقريبا ليهرب خلف الآخرين ولكنها تتبعه ، شبه جارية هي الأخرى ، وتحصره فى ركن ، وتجثو على ركبتيها •)

شــارل : (محرجا ، من خلال الصمت العام •) ماذا تريدين مني يا آنســة ؟

جــان : ولى العهد اللطيف ، اسمى جان العذراء • ان ملك السموات يقول لك بلسانى بأنك ستنصب وتتوج فى مدينــة رانسي وستكون نائب ملك السموات الذى هو ملك فرنسا !

شــارل : (محرجا •) هيه ••• كل هذا حسن ، يا آنسة •

ولكن رانسي فى أيدى الانجليز ، على ما أعلم •
فكيف الذهاب اليها ؟

جـان : (ما زالت على ركبتيها •) بقتالهم ،يا ولي العهد اللطيف ، بالقوة ، بكل تأكيد ! سنبدأ بأورليان ، وبعد ذلك نذهب الى رانسي •

لاتريموي : (يقترب •) ولكن أيتها المجنونة الصغيرة ، أليس هـذا ما يحاول فعله كل قوادنا العظام ، منـذ شهور ؟ أنا رئيسهم ، وأعلم جليـة الأمر انهم لا يصلون الى ذلك •

جـان : (نهضت •) أنا أصل اليه •

لاتريموى : أشتاق تمام الاشتياق الى أن أعرف كيف !

جـان : بمساعدة ربنا الله الذى بعثني •

لاتريموي : الآن اللـه قد صمم ، فى آخر الأنباء ، على أن يعيد الينا أورليان ؟

جـان : نعم ،ياسيدى ،وأن يطرد الانجليز خارج فرنسا•

لاتريموى : (ساخرا •) هذه فكرة طيبة ! ولكن ألا يستطيع قضاء حاجته بنفسه ؟ أهو محتاج اليك ؟

جـان : نعم ، ياسيدى •

كبير المطارنة : (يقترب) أيتها الفتاة ...
(جان تراه وتجثو على ركبتيها وتقبل ذيل ثوبه . يقدم لها خاتمة ، وينهضها باشارة من يده .) تقولين ان الله يريد أن ينقذ مملكة فرنسا . اذا كانت تلك مشيئته فانه لا يحتاج الى محاربين ...

جان : (فى وجهه تماما .) أوه ! يامولاى، ان الله لايحب الكسالى . لابد أن يقوم رجال الحرب بضربة عاتية ، ثم هو الذى يهبهم النصر .

شارل : (الذى ينظر اليها مضطربا ، يسألها فجأة .) بماذا تعرفت عليّ ؟ لم أكن ألبس تاجي ...

جان : ولى العهد اللطيف ، هذا الغلام البالغ أقصى حدود التفاهة ، الجالس على عرشك اللابس لتاجك وحلتك ، انها مسرحية لا بأس بها ، ولكن كان من السهل على المرء أن يرى أنه ليس الا غلاما بالغا أقصى حدود التفاهة ...

شارل : أنت مخدوعة ، ويا آنسة ، انه ابن لسيد عظيم جدا .

جان : لا أدرى من هم السادة العظماء ... انه رغم كل

شيء غلام بالغ أقصى حدود التفاهة بالنسبة اليك ، أنت الملك .

شارل : (مضطربا .) من قال لك أني مليكك ؟ أنا أيضا لا يوحى شكلي بشيء ذى بال ...

جان : الله ، ياولي العهد اللطيف ، الذى عينك منذ الأزل ، من خلال والدك وجدك وكل سلسلة الملوك ، لتكون نائبه على مملكته .
(كبير المطارنة ولاتريموى يتبادلان نظره مغيظه . كبير المطارنة يتقدم .)

كبير المطارنة : مولاى ، ان أجوبة هذه البنت شيقة ، وتدل على مستوى ما من حسن الفهم ، ولكن فى موضوع دقيق كهذا يليق بالمرء أن يكون متحفظا ، وأن يتذرع بأقصى أنواع الحذر . فيجب أن تقوم لجنة من حكماء رجال اللاهوت باستجوابها واختبارها طويلا ... وعندئذ نفحص تقريرها فى المجلس ونرى ما اذا كان من اللائق أن نمنحها جلسة أطول من تلك . واليوم ليس من الضرورى أن تضايقك أكثر من ذلك . وسأقوم ، أنا نفسى ، باخضاعها لأول استجواب تعالى يابنيتى .

شـــارل : كلا ، الا هذا (يوقف جان •) لا تتحركـــى •
(يلتفت نحو كبير المطارنة ، وقد أمسك بيـــد
جان لكي تمنحه الشـــجاعة •) أنه أنا الذى
تعرفت عليه • وأنا الذى خاطبته • أريد منكم
جميعا أن تتركونى معها وحدى •

كبير المطارنة : ولكن ليس من اللائق ، ياصاحب السمو ، أن
تصل المسألة ••• حتى خوفا على أمنك •••

شـــارل : (يعتريه شيء من الخوف لدى سماعه هـــذه
الكلمة ولكنه ينظر الى جان ويتماسك •) أنا
وحدى الحكم فى مثل هذه الأمور ، (يتلو •)
من خلال أبيك وجدك وسلسلة الملوك الطويلة •
(يشير بعينه الى جان •) أهذا أحسن ؟ (يعود
الى الالتفات نحو الآخـــرين ، ثابت الجنان •)
أخرجوا أيها السادة • هذا أمر الملك • (كلهم
يحنون رءوسهم ويخرجـــون • يحتفظ شـــارل
بهيئته النبيلة لحظة ، ثم ينفجر بالضحك فجأة •)
لقد خرجوا ! أنت فتاة مدهشة هـــذه هي المرة
الأولى التي أنعم فيها بالطاعة •• (ينظر اليها ،
فجأة قلق •) ليس صحيحا ، على أية حـــال ، ما
حاول أن يوحى به ؟ لم تأتى لقتلى ؟ ليس معك

سكين بين طيات ملابسك ؟ (ينظر اليها ، تبتسم رزينة •) كلا أنت سمحة الوجه ، وكنت قد نسيت ، بين كل هؤلاءالقراصنة منأفراد حاشيتي ما أنت عليه فى الحقيقة أنك بنت طيبة • أهم كثيرون ، فى مملكتى ، الذين يتمتعون بوجه سمح كهذا ؟

جان : (تبتسم ، دائما رزينة •) جدا يامولاى •

شارل : لكني لا أراكم قط ••• الافظاظ والقسس والعاهرات هؤلاء هم كل ما يحيط بي ••• (يتدارك •)لدى ملكة صغيرة علىجانب كبير من اللطف ، لكنها غبية • (يعود الى الجلوس على عرشه وقدماه علىمسند اليد ، ويتنهد •) حسن• الآن ستبدئين فى اصابتي بالملل • ستبدئين تكلمينني فى أنه يجب على أن أكون ملكا عظيما ، أنت أيضا •••

جان : (بلطف) نعم يا شارل •

شارل : (ينهض ، وقد خطرت بباله فكرة •) اسمعي ، يجب أن نبقى محبوسين معا ساعة على الأقل ، ليكون وقعه فى نفوسهم كبيرا ••• واذا كلمتنى خلال هذه الساعة عن الله وعن مملكة فرنسا ،

فلن أحتمل مطلقا ... سأعرض عليك اقتراحا .
سنتكلم فى أى شيء آخر أثناء هذ الوقت
(يسأل فجأة .) أتعرفين كيف تلعبين الورق ؟

جان : (تحدق بعينيها من الدهشة .) لا أدرى ما معنى هذا .

شارل : أنها لعبة مسلية جدا ، كانوا قد اخترعوها من أجل أبي ، لتسليته أثناء مرضه . سترين ، سأعلمك . بالنسبة الى لقد وصل بي الحال الى أن أملها كغيرها ، لطول لعبى بها . أما أنت التى لم تتعودى عليها بعد فلا شك أنها ستسليك كثيرا . (يذهب للبحث فى صندوق .) أتعشم ألا يكونوا قد سرقوها منى . أنهم هنا يسرقون منى كل شيء . وليكن فى معلومك أن لعبة الورق غالية الثمن جدا . لا يملكها الا الامراء الكبار . أما بالنسبة لى فهى مما تركه لى أبى . ولن يتأتى لى أبداً أن أملك من النقود ما يكفى لشراء واحدة أخرى . فاذا كان هؤلاء الخنازير قد سرقوها ... كلا ، ها هى ذى . (يرجع وفى يده الورق.) أتعرفين أن أبي كان مجنونا؟ أراني فى بعض الأحيان راغبا فى أن أكون أبنه ، لكى

أتأكد من أني ملك حقيقي ••• وفى بعض الأيام أقول فى نفسـي ، الأحسن أن أكـون ابنا غير شرعى ، حتى لا أخشى أن أصير مجنونا مثله حوالى سن الثلاثين •

جـان : (بلطف •) وماذا تفضل من الاثنين ، ياشارل ؟

شـارل : (يلتفت مذهولا •)
هكذا ، انت ذى ترفعين كل كلفـة ـ فتنادينني باسمي مجردا ! سنرى العجائب فى يومنا هذا •
يبدو لي أني لن أصاب اليوم بالملل،شيء جميل !

جـان : لن تعود منذ الآن أبـدا الى الشعور بالملل •

شـارل : أتظنين ؟ أقـلت ماذا أفضـل ؟ الواقـع ، فى الأيام التى أشعر فيها بالشجاعة ، أفضـل أن أخاطر بأن أصبح مجنونا يوما من الأيام ، وان أكون ملكا حقيقيا • والأيام التي لا أشعر فيها بشجاعة ، افضل أن اتخلى عن كل شىء ، وان أنسحب بملاليمى الى مكان ما فى الخارج ،لكى أعيش فى اطمئنان • أتعرفين أنييس ؟ •

جـان : لا •

شـــارل : (الذى يخلط الورق •) انها فتاة جميلة • معها أيضا ، لا اشعر كثيرا بالملل ، لكنها دائما تريد أن اشترى لها أشياء •

جـــان : (تسأل برزانة مفاجئة •) واليوم ياشارل ، أتشعر بأن لديك شجاعة ؟

شـــارل : اليوم ؟ ••• (يبحث •) نعم ، يبدو لي أن لدى اليوم طرفا صغيرا من الشجاعة • ليس كثيرا ، ولكن طرف صغير منها • وأنت نفسك رأيت كيف طردت رئيس المطارنة •••

جـــان : اذن ، منذ يومنا هذا ستشعر بأن لديك شجاعة فى كل الأيام ، ياشارل (يميل نحوها مهتما •)

شـــارل : هل لديك حيلة ؟

جـــان : نعم •

شـــارل : أأنت ساحرة • تستطيعين أن تعترفى لى ، فأنا لا أعبأ بشىء من هذا القبيل • وأقسم لك أنى لن أعيده أمام أحد • فالمشانق ووسائل التعذيب من الاشياء التى تقزز نفسى • اصطحبونى ذات مرة لأراهم يحرقون امرأة ملحدة • فظللت أتقيأ طول الليل •

جـان : (تبتسم •) لاياشارل ، لست ساحرة ومع ذلك فلدى حيلـة •

شـارل : حيلة • الا تبيعيننى اياهـا ، دون أن تقـولى للآخرين ؟ أنا لسـت واسـع الثراء ، ولكني سأعطيك صكا على الخزانة •

جـان : سأهبها لك ، ياشارل •

شـارل : (مرتابا •) مجانا ؟

جـان : نعم •

شـارل : (ينقبض فجأة •)
اذن فلى أن ارتاب • اما انها حيلة غير ناجحة واما أنها ستكلفنى مالا أطيق • فالناس غـير الطامعين تتجاوز أثمانهم دائما حد المعقول ••• (يخلط الورق •) لقد تعودت أن أظهر بمظهر المعتوه لكى يتركونى فى سلام ، ولكنى أكتسبت من ذلك خبرة مع مرور الزمن • لا يستطيع أحد أن يغشنى بسهولة •

جـان : (بلطف •) لقد اكتسبت من تلك الخبرة أكثر مما ينبغي ، ياشارل •

شـــارل : أكثر مما ينبغي ؟ لا يصل انسان أبدا بخبرته الى أكثر مما ينبغي •

جـــان : بلى • فى بعض الأحيان •

شـــارل : يجب على المرء أن يدافع عن نفسه • كنت أود أن أراك فى مثل مكاني ! ••• لو كنت وحدك وسط هؤلاء الافظاظ الذين لايفكرون الا في أن يسددوا اليك طعنة خنجر نافذة فى الوقت الذى لا تنتظرينها فيه ، وكنت مثلي مهيضـــة الجناح بطبيعتك ، لما لبثت أن تفهمى أن الوسيلة الوحيدة للتلخلص منهم تنحصر فى أن تكونى أذكى منهم بكثير• وهذا ما مكننى من الاحتفاظ بعرشى الصغير فى بورج بصورة لا هى بالحسنة ولا هى بالسيئة •

جـــان : (تضع يدها على ذراعه •) الآن ســأكون هنا للدفاع عنك •

شـــارل : أتظنين ؟

جـــان : نعم • وأنا قوية • لا أخشى شيئا •

شـــارل : (يتنهد •) أنت حسنة الحظ ! (يرتب الورق •) اجلسي على الحشية،سأعلمك كيف تلعبين الورق

جـان : (تبتسم ، وهى تجلس قرب العرش .) اذا اردت وبعد ذلك ، أنا التى سأعلمك شيئا آخر

شـارل : ماذا .

جـان : ألا تخاف شيئا . وألا تكون أذكى مما ينبغي .

شـارل : موافق . ألا ترين الورق؟ مرسوم عليه أشكال. من كل نوع كما فى الحياة : الخدم ، الملكات ، الملوك .....وعلى الورقات الأخرى ترسم قلوب صغيرة ، مربعات صغيرة، وتلك هى فرق الجنود ويوجد منها الكثير ، ويمكن أن يقتل منها بقدر ما يراده وتوزع الورقات دون رؤيتها ، فالصدفة وحدها هى التى تجعل من نصيبك كثيرا من الورقات الجيدة أو كثيرا من الورقات السيئة . ويمكن للورقات تبعا لقيمتها ، أن تستولى بعضها على بعض . ما هى أقوى الورقات فى نظرك ؟

جـان : الملك .

شـارل : نعم ، من أقواها ، ولكن هناك ، ما هو أقوى الملوك فى لعبة الورق ، يابنتى . وهى هـ الورقة ، هذا القلب الكبير الوحيد . اتعر أسمه ؟

جـــان : اللــه هو الذى يسيطر على الملوك •

شـــارل : (متضايقا •)لكن لا ، أيتها الحمقاء العنيدة ! دعي الاله فى حاله ، ولو خمس دقائق • نحن نلعب الورق فى هذه اللحظة • انه الآس •

جـــان : ماذا ، الآس ؟ هذه لعبة تافهة ،لعبة الورق هذه• ماذا يمكن أن يكون اقوى من الملوك ، اذا لم يكن هو الله ؟

شـــارل : الآس بالذات ، الآس هو الله اذا أردت ، ولكن فى كل من المعسكرات ، كما ترين آس قلب ، وآس بسطوني وآس سباتي وآس مربع • فهناك واحد فى كل معسكر • يبدو لي أنكم فى القرى لا ترون شيئا يذكر • أتظنين ، اذن ، أن الانجليز لا يؤدون صلواتهم مثلنا تماما ؟ أتظنين أنهم لا اله لهم ، هم الآخرين ، يحميهم ويكسبهم النصر ؟ وكذلك الحال بالنسبة لقريبى ، دوق برجونيا ، اله صغير ماكر كثير الطمع يخلصه دائما مـــن الورطات • فالله مع كل الناس ، يابنتى • انه هو الحكم ، هو الذى يعد النقط • وفى نهاية الامر ترينه دائما مع من يملكون الكثير مـــن المال والجيوش الضخمة • فلمـــاذا تريدين أن

يكون الله مع فرنسا الآن بعد أن لم يصبح لها
أي شـــيء ؟

جـــان : (بلطف •) ربما لانها لم تعد تملك شيئا مطلقا ،
ياشارل •

شـــارل : (يهز كتفيه •) أنت لا تعرفين ذلك !

جـــان : بلى ، ياشارل ، أكثر منك • ان الله لا يقف مع
من هم أقوى ، بل مع من هم أكثر شجاعة •
هناك فرق بين المعنيين • الله لا يحب الخائفين •

شـــارل : اذن فهو لا يحبني • واذا كان لا يحبني ، فلماذا
تريدين مني أن أحبـــه ؟ كان عليـــه أن يهبني
الشجاعة • أنا لا أطلب خيرا من ذلك !

جـــان : (قاسية •) تعتقد اذن أنه ظئرك ، وليس أمامه من
يهتم به الا أنت ؟ ألا تستطيع أن تحاول تدبير
أمورك بنفسك ، بالقليل الذى لديك ؟ نعم انه لم
يمنحك ساقين غليظتين كالسيد دى لاتريموى ،
بل أعطاك ساقين مسرفتين في الطول ، عجناوين ،
الى •••

شـــارل : ألاحظت ذلك ؟ من هذه الناحية كان في مقدوره
أن يصنع أحسن مما صنع • ولا سيما في العالم

الذى نعيش فيه . أتعرفين أن ساقي هما السبب فى أن أنييس لن يحبني أبدا ؟ على الأقل لو كان في عينه نظر ، لما أعطانى ركبتين ضخمتين في نفس الوقت ..

جان : أسلم لك بذلك . انه لم يبذل مجهودا كبيرا بالنسبة لركبتيك . لكنه أعطاك شيئا آخر فى هذا الرأس القبيح الذى يشبه رأس الكرنبه . الشرارة الصغيرة ، التى هي أشبه الاشياء به . وأنت وحدك الذى تستطيع أن تحسن استخدامها أو أن تسيء استخدامها ؛ يا شارل ، وفى هذا المجال تركك الله حرا . تستطيع أن تستخدمها في لعب الورق ، وفي الاستمرار في خداع كبير المطارنه في توافه الامور .. أو في بناء بيتك واستعادة مملكتك التى تخاطفها منك الجميع . ان لك ابنا ، يا شارل ، من ملكتك الصغيرة . فماذا ستترك لهذا الغلام حين تموت ؟ هذه البقعة الصغيرة من فرنسا التي أبتلعها الانجليز ألا تشعر بالخجل ؟ هو أيضا يستطيع القول حين يكبر : ان الله لم يهتم بى ! ولكنك ستكون أنت ، يا شارل ، الذى لم تهتم به . أنت الاله

بالنسبة لابنك ، أنت الذى يقع عليك عبؤه •
ان الله جعلك ملكا • وألقى على كاهلك بحمل
ثقيل جدا لتضطلع به • لا تشك حالك ، فهذه
خير وسائله للاهتمام بانسان •

شـــارل : (يئن•) ولكنني قلت لك بأني أخشى كل شيء ! •

جـــان : سأعلمك ، يا شارل • سأعطيك حيلتى ـ أولا ـ
وبوجه خاص لا تقل هـــذا لأحد ـ أنا أيضـــا
أخاف كل شيء • أتدرى لماذا لا يخاف السيد
دى لاتريموى شيئا ؟

شـــارل : لأنه قـــوى •

جـــان : لا • بل لأنه غبي • لأنه لا يستطيع مطلقـــا أن
يتخيل أى شيء • الخنازير البرية ، هي الاخرى ،
لاتخاف أبدا ، ولا الثيران • فبالنسبة الى ، كان
مجيئى حتى هنا ، أكثر تعقيدا من استرجـــاع
مملكتك بالنسبة اليك • كان على أن أوضح
لأبي الذى ضربني وكان يظن أني أريد أن أكون
من البنات الفاسدات اللائي يتبعن الجنون•وكن
متأكدا أن أبي يضرب ، نسبيا ، أشد مما يضرب
الانجليز • وقد تحتم على أن أبكى أمي ، وكان
هذا يبدو لى مما لا يمكن التغلب عليه ، وأن

أقنع بودريكور البدين الذى كان يصيح بأعلى صوته ويمتلىء رأسه بالافكار الخبيثه .. أتظن أنى لم أكن خائفة ؟ لقد كنت أشعر بالخوف طول الوقت .

شارل : وماذا فعلت ؟

جان : كما لو لم أكن خائفة . والامر ليس من الصعوبة على ما تظن ، يا شارل . ليس أمامك الا أن تحاول مرة أن تقول : « حسن . أنا خائف . ولكن المسألة مسألتى ،ولا تعنى أحدا غيرى ، فلنستمر . » وتستمر واذا رأيت شيئا أمامك يبدو لك انه لا يمكن التغلب عليه ..

شارل : لاتريموى يعوى ..

جان : ليكن . أو أن يقف الانجليز وقفة صلبة أمام أورليان في قلاعهم الضخمة المتينة . فتقول : « حسن انهم كثيرو العدد ، ومن حولهم أسوار ضخمه ومدافع ، واحتياطى هائل من السهام ، وهم الاقوى دائما . ليكن . أنا خائف . هيه ، ضربة عاتية . هيا . هكذا . الآن وقد شعرت بالخوف ، فلنتقدم ! » ويدهش الآخرون حين يرونك غير خائف ، وعلى الفور يبدءون هم في

الشعور بالخوف ، وتقتحمهم ! تقتحمهم ، لأنك
لما كنت اذكى منهم ، وأخصب منهم خيالا ،خفت
من قبل • وهذا هو السر •

شـارل : ولكن ، مهما يكن من شيء ، فانهم اقوى !

جـان : ليس من النافع في شيء أن يكونوا أقوى • أنا
شخصيا رأيت ذات مرة غلاما من قريتي ، صيادا
صغيرا ، يطارده كلبان متوحشان فـوق أرض
السيد • فتوقف وانتظرهما ، وخنقهما الواحـد
بعد الآخر •

شـارل : ألم تنله منهما قضمه ؟

جـان : من أجل هذا نالته قضمه ! ليس هنـاك مـن
معجزات ولكنه ، مع ذلك ، خنقهما • وبالرغـم
من ذلك فان الله كان قد خلق الكلبين المتوحشين
أقوى من صيادى الصغـير • ولكنـه أعطى
الانسان شيئا آخر جعلـه أقوى من البهائم •
ولهذا توقف صيادى الصغير عن الجـرى ،
وتخلص من كل خوفه دفعة واحدة ، وقال في
نفسه : « الآن خفت بما فيه الكفاية • سأتوقف
وأخنقهما • »

شـــارل : أهذا كل ما في الامر ؟

جـــان : هذا كل ما في الامر .

شـــارل : (شاعر بشيء من خيبة الأمل .) أليس هذا من قبيل السـحر ؟

جـــان : (تبتسم .) كلا. ليس هذا من قبيل السحر. ولكنه يكفى . ان الله لا يطلب الخوارق من البشر . بل فقط أن يثقوا في هذا الجزء الصغير من أنفسهم الذى هو الله نفسه ، فقط على المرء أن يسـمو بنفسه بعض الشيء . وبعد ذلك يتعهد هـو بالباقى .

شـــارل : (حالما .) أهذه الحيلة تنجح دائما ؟ اتظنين ؟

جـــان : دائما . بكل تأكيد ، يجب على المرء أيضا أن يكون حصيفا ، ولكن الحصافة هذه أنت تملك منها اكثر مما يلزم . صيادى الصغـير انتهـز فرصة افتراق الكلبين أحدهما من الآخر بسبب أرنب برى ، لكي يتخلص منهما واحدا واحدا . ولكن بوجه خاص لأنه فى الدقيقة التي تتخلص فيها من كل خوفك ، وتتوقف رغم كل شىء ،

وتواجه ، يسارع الله بمساعدتك . (تضيف .)
ولكنك تعرف من يكون . انه يريد أن تقوم
أنت بالخطوة الاولى .

شارل : (بعد برهة صمت .) :
تظنين أن نحاولها ، حيلتك هذه ؟

جان : بكل تأكيد يجب أن نحاولها ، يجب أن نحاول
دائما .

شارل : (مرتاعا فجأة من جرأته .) غدا ، ليكون لدى
الوقت للاستعداد ...

جان : لا . فورا . أنت على تمام الاستعداد .

شارل : أندعو كبير المطارنة ولاتريموى ونخبرهما بأنى
عهدت اليك بقيادة الجيش ، لنرى كيف ينزل
الخبر عليهما نزول الصاعقة .

جان : ادعهما .

شارل : أشعر بالخوف ، أكاد انفجر من الخوف فى هذه
اللحظة .

جان : اذن لقد انتهت أصعب المراحل . أما مالا يصح
أن يكون ، فهو أن يبقى لديك خوف ، وهما
هنا . أنت تشعر بالخوف ، بأقصى ما تستطيع ؟

شـارل : (الذى يمسك ببطنه .) أعتقد هذا .

جـان : اذن كل شيء على ما يرام أنت متقدم عليها . أما هما فسيبدآن في الخوف ، في الوقت الـذى تكون فيه انت قد انتهيت منه . المهم أن يكون المرء أول الخائفين وقبل المعركة . سـترى . سأدعوهما . (تذهب للنـداء في القـاع .) مولاى كبير المطارنة ، السـيد دى لاتريموى ! مولاى ولى العهد يرغب في التحدث معكما .

شـارل : (يصيح ، يسير في مكانه ، أخذ على غره .) : آه ! ما أشـد ما أنا خائـف ! آه ! ما أشـد ما أنا خائف !

جـان : هيا ، يا شارل ، بكل قواك !

شـارل : (الذى تصطك أسنانه .) لا أستطيع أن أكون أقوى مما أنا !

جـان : اذن لقد انتصرت . الله يرعاك . يبتسم يقول في نفسه : « على كل حال ، شارل الصغير هـذا يشعر بالخوف ويدعوهما . » بعد ثمانية ايام ستكون أورليان فى يدنا ، يا بني !
(يدخل كبير المطارنه ولاتريموى مندهشين .)

كبير المطارنة : هل أمرت بدعوتنا ، يا صاحب السمو ؟

شـــارل : (فجأة ، بعد نظرة أخيرة الى جان •) نعم • لقد اتخذت قرارا يامولاى ، قرارا يمسك أنت أيضا ، يا سيدى دى لاتريموى • أسندت قيادة جيشي الملكي الى العذراء الماثلة هنا •(يشرع فى الصياح فجأة•)اذا كنت موافقا،يا سيدى دى لاتريموى، أرجوك أن ترد لي سيفك • أنت مقبوض عليك ! (دى لاتريموى وكبـــير المطارنـــة يتوقفـــان كالمتحجرين •)

جـــان : (تصفق •) براڤو ، ياشارل الصغير ! ترى كيف كان الأمـــر بســـيطا ! انظر الى وجهيهما ! •• لا ، بل انظر الى وجهيهما ! •• انهما يموتـــان من الخوف ! (تنفجر ضاحكة ، شارل ينطلق في نوبة ضحك جنونية ، كل منهما يقرع فخذيه بكفيه ، دون أن يستطيعا التوقف ، أمام كبير المطارنة ولاتريموى اللذين تحولا الى تمثالين من الملح •)

جـــان : (تجثو على ركبتيها فجأة •) شكرا يا الهي !

شـــارل : (يصيح فيهما ، وهو يجثو على ركبتيه أيضا •) على ركبتيك ، يا سيدى دى لاتريموى ، علـــى

ركبتيك ، وأنت، يا كبير المطارنة،امنحنا بركتك،
وبأسرع من ذلك ! نحن في حاجة الى كل دقيقة
من وقتنا ! .. الآن ،وقد اعترانا جميعا الخوف،
يجب أن نسارع بالذهاب الى أورليان !
(لاتريموى جثا على ركبتيه ، وهو كالأبله ،
من وقع الصدمة . كبير المطارنة مذهولا ،يمنحهم
البركة بطريقة ميكانيكية . (1))

واريك : (ينفجر ضاحكا في القاع ويتقدم نحو
كوشون.) بطبيعة الحال، في الحقيقة لم تجر الأمور
بالضبط على هذا النحو . عقد مجلس نوقشت
فيه المبررات والمواقع طويلا ، وقرر في النهاية
استخدام جان كنوع من حامل العلم استجابة
لرغبة الشعب ، على وجه الاجمال ، في تميمة
صغيرة لطيفة ، خلقت لتغرى الناس البسطاء

---

(1) ضرورات التمثيل اضطرت المخرج ، في باريس ، الى عمل وقت استراحة وينزل الستار على اللوحة الحية للتبريك ، وحينما ترتفع من جديد على القسم الثاني من المسرحية يكون كبير المطارنة ما زال مشتغلا بمنح شارل وجان البركة ، ولكن الممثلين الآخرين قد رجعوا على المسرح من حولهم ، ويشرع واريك في مواصلة التمثيل .

وتحملهم على مواجهة القتل فقد كنا نقدملرجالنا
ثلاثة أمثال الكمية المقررة من شراب الجبن قبل
كل هجــوم ، ولكن عبثا ، فلم تكن لــه نفس
النتيجة التى كانت له من قبل • وبدأنا ننهزم في
هذا اليوم ضد جميع القوانينالاستراجية ، لقد
قيل ان جان لم تقم بأية معجزة وأن سلسلــة
حصوننا « المنعزلة » حول أورليان كانت لا
معنى لها ، وانه كان يكفى مجرد الهجوم ، ذلك
ما يبدو أنها اقنعتبه هيئة اركان حربارمانيالك•
وهذا باطل • فليس السير جون تالبوت بالمعتوه،
ولكنه يعرف مهنته تماما ، وقد برهن على ذلك
قبل هذه المسألة المنحوسة ، وبعدها •وكان من
شأن شبكة تحصيناته أن تصد كل هجوم ، من
الناحية النظرية لا ، لقد كان هناك شىء يعلو
على ذلك ــ وليكن لدينا من روح الفروسية ما
يحملنا على التسليم به • الله اذا طــاب لــك
التمسك بهذه التسمية ، يا سيدى المطران وذلك
ما لم يكن ليدخل أبدا فى حساب هيئة أركان
الحرب •• انها تلك العصفورة التى تصدح في
سماءفرنسا فوق رءوس مشاتها ! •• أنا شخصيا
يا مولاى ،أحب فرنسا كثيرا • لذلك لا أعتقد

أن هناك ما يمكن أن يعزيني ، اذا فقدناهـــا •
هاتان ملاحظتان واضحتان ، هذا النشيد المرح
غير المعقول من فم عصفورة صغـــيرة ثابتة لا
تتحرك في وضح الشمس مع أن السهام تنهال
عليها من كل جانب ، ذلك لانها ، لان فرنسا لها
نصيبها الوافي من البلهاء والقاصرين والخلعاء ،
ولكن من حين لحين تظهره عصفورة في سمائها ،
فتمحو كل هؤلاء • انى أحب فرنسا كثيرا •

كوشـــون : (بلطف•) ومع ذلك فأنتم تطلقون عليها قذائفكم•

واريك : حيل الانسان من متناقضات ، يا سيدى المطران
وليس من النادر ان يقتل المرء من يحب • فأنـــا
أيضا أعبد الحيوان ، وأنا في الوقت نفسه صياد•
(ينهض فجأة قاسى الملامح • ينادى جنديين من
جنوده بضربة من عصاه على حذائه ،فيتقدمان•)
هيا ! استولينا على العصفورة الصغيرة • أطبق
عليها فخ كومبيينيا سجلنا الصفحة المدويـــة •
وسيقوم شارل وحاشيته ـ دون أى اعتبار ـ
بهجران التميمة الصغيرة التى يبدو انها لم تعد
تجلب لهم الحظ ، وسيعودون الى سياستهـــم
العتيقة ••

(والواقع ان شارل ولاتريموى وكبير المطارنة نهضوا في نفاق ، وابتعدوا عن جان التى ظلت تصلى جاثية على ركبتيها • تعتدل مندهشة من كونها وحدها ومن رؤيتها شارل يبتعد ، وعليه سيما النفاق ، الحارس يسوقها •)

كوشـــون : (صائحا لابراز تأثير المنظر •)
مليكك يهجرك ،يا جان ! لماذا تصرين على الدفاع عنه ؟ بالأمس قرىء عليك الخطاب الذى بعث به الى كل مدنه الطيبة ، وفيه يعلن أنه ينكرك •

جـــان : (بعد برهة صمت ، بلطف •) انه مليكي •

شـــارل : (بصوت منخفض ، لكبير المطارنة •)
لا يزالون يلوموننا على هذا الخطاب !

كبير المطارنة : (بصوت منخفض•) ضرورى ، يا مولاى • كا[ن] ضروريا • لــم يكن مــن الممكن فى الظروف الحاضرة ربط قضية فرنسا بقضيـــة جان ، بأية حـــال •

كوشـــون : جان ، انصتى الى جيدا ، وحاولى أن تفهمينى •
ملكك ليس ملكنا • هناك معاهـــدة شرعيـــة المضمون والصورة تجعل من مولانا هنـــرى

السادس دى لانكستر ملكا على فرنسا وانجلتره • وهذه القضية التى نحن بصددها لا علاقة لها بالسياسة •• وانما نحن في هذه اللحظة نحاول فقط ، بكل قوانا وأظهر نوايانا ، أن نعيد شاة ضالة الى أحضان الكنيسة أمنا المقدسة • ولكننا بشر ، رغم كل شيء يا جان ، نحن رعايا مخلصون لجلالة الملك هنرى ، وحبنا لفرنسا الذى لا يقل قدرا ولا صدقا عن حبك لها ــ هو الذى جعلنا نعترف به ملكا عليها ، لكى تنهض من عثراتها وتضمد جراحها ، وبوجه خاص لكى تخرج من هذه الحرب الطاحنة المديدة التى أدمتها •• أما المقاومة العابثة من جانب الاسرة الارمنياكية والطموح المضحك من قبل هذا الذى تسمينه مليكك للوصول الى العرش ، فكل ذلك لا نسميه نحن الا تمردا وارهابا ضد السلام الذى كان على وشك التحقق • انالدمية التى تخدمينها ليست مولانا ، افهمى ذلك جيدا•

جان : قل كل ما شئت أن تقول ، فلن تستطيع شيئا • انه الملك الذى ولاه عليكم ربنا الله • رغم ما بلى به هذا المسكين من ساقين طويلتين عجفاوين وركبتين ضخمتين قبيحتين •

شـــارل : (بصوت منخفض ، لكبير المطارنة •) كل هذا
يقع على رأسي أنا ، فى نهاية الأمر •••

كبير المطارنة : (بصوت منخفض ، نفس الطريقة •)
صـــبرا ، يامـــولاى ، سيسارعـــون بالحكـــم
ويحرقونها وبعدها سنكون مطمئنين • هـــذا
ولابد من الاعتراف بأن الانجليز قد ادوا لنـــا
خدمة بقبضهم عليها واحراقها • فلو لم يقوموا
هم بذلك ، لكان علينا نحن أن نقوم به ، اليوم
أو غدا • كانت قد أصبحت لا تطاق !
(خرجا • وسيرجعان فيمـــا بعد ويختلطـــان
بالجمهور دون أن يجذبا النظر اليهما •)

كوشـــون : (يستأنف •)
ومع ذلك ، فلست بلهاء ياجان • تبرهن على
ذلك عشرات الاجابات القارصة التى تصدرينها
ضعى نفسك فى مكاننا لحظة واحدة • كيف
تريدين منا نحن ، كبشر ، فى أعمق مستويات
اقتناعنا البشرى ، أن نسلم بأن الله هو الذى
أرسلك ضد قضية ندافع نحـــن عنها ؟ كيف
تريدين منا أن نسلم بأن صوت الله كان ضدنا
لمجرد أنك تؤكدين سماعه ؟

جـان : ستتحقق من صدق ذلك حينما تتم لنا هزيمتكم كاملة ؟

كوشـون : (يهز كتفيه .) انك تجيبينني اجابة فتاة صغيرة عنيدة ، باختيارها والآن ، اذا نظرنا الى المسألة باعتبارنا قسيسين ، باعتبارنا محامي الكنيسة أمنا المقدسة ، فهل لديك أدلة أقوى من تلك ، لكي نصدق ماتقولين ؟ أتظنين أنك أول من سمعت أصواتا ؟

جـان : (بلطف) كلا فيما أظن .

كوشـون : لا الأولى ولا الأخيرة ، يا جان . تصورى أنه كلما قامت فتاة صغيرة فى قريتها وجاءت الى قسيس الكنيسة تقول له : رأيت القديس الفلانى أو السيدة العذراء ، سمعت أصواتا تقول لي هذا الشيء أو ذاك ، صدقها القس وترك لها الحبل على الغارب . اتظنين عند ذلك يمكن للكنيسة أن تظل واقفة على قدميها ؟

جـان : لا أدرى .

كوشـون : لا تدرين ولكنك مفعمة بالتعقل ، ولذلك أحاول أن أحملك على مشاركتى التفكير . كنت قائدة للحرب ، ياجان ؟

جـان : (تعتدل بكبرياء •) نعم • قدت مئات من الشباب الاشداء الذين كانوا يتبعونني ويؤمنون بي !

كوشـون : كنت على رأس الجيش • لو حدث فى ساعة هجوم أن سمع أحد جنودك أصواتا أقنعته بأن يهاجم من هذا الباب بدلا من الباب الذى اخترته أنت ، وألا يهاجم مطلقا ، فماذا كنت تصنعين ؟

جـان : (تظل مرتجا عليها برهة ، ثم تنفجر بالضحك فجأة •) سيدى المطران ، من الواضح جدا ، أنك قسيس ! وأنك لم تر صبياني عن قرب مطلقا ! انهم يضربون بعنف ويشربونها صرفا ، أما عن سماع الأصوات •••

كوشـون : النكتة ، ياجان ، لست جوابا ••• ولكنك أجبت على سؤالى قبل أن تتكلمى فى اللحظة التي صمت فيها من شدة الحيرة • حسن ، الكنيسة الحية جيش فوق هذه الارض الى لا تزال تعج بالكفرة ، والقوى الشريرة • انها تدين بالطاعة لبابانا المقدس ولمطارنته ، كما لا بد لجنودك من طاعتك وطاعة نوابك • والجندى الذى يأتى صبيحة المعركة ليقول انه سمع أصواتا تنصحه بعدم الهجوم مصيره معروف فى كل جيوش

العالم — بما فيها جيشك — ، يقضي عليه بالصمت . وبصورة أشد وحشية مما تفعل معك حين نحاول حملك على التعقل .

جان : (منكبته على نفسها ، فى موقف دفاع .)
أن تضرب بشدة ، هذا من حقك . أما أنا فمن حقى أيضا أن أستمر فى الايمان ، وأن أقول لك: لا .

كوشون : لا تحبسى نفسك بين جدران كبريائك ، يا جان. أنت تفهمين جيدا أنه لا شى يحملنا ، لا باعتبارنا بشرا ولا باعتبارنا قسسا ،على الاعتقاد فىألوهية رسالتك . أنت وحدك التى لك الحق فىالايمان بها — مدفوعة ، فى أغلب الظن ، بفعل الشيطان الذى يريد هلاكك — ، وذلك بطبيعة الحال فى حدود مصلحة أولئك الذين استخدموك . هذا الى أن أكثرهم ذكاء لم يصدقوا ذلك لحظة واحدة،كما يدل موقفهم أمام أسرك واستنكارهم القاطع لفعلك . لم يعد هناك أحد يؤمن بك ، ياجان ، باستثناء الطبقة الشعبية التي تؤمن بكل شىء والتى ستؤمن بغيرك منذ الغد . أنت الآن وحدك . (جان لا تجيب ، وتجلس متضائلة جدا

وسط الجميع •) ولا يذهبن بك الظن الى أن عنادك فى مقاومتنا وقوة شخصيتك علامة على أن الله يساندك • ابليس أيضا يتسم بقوة الشكيمة ــ بالذكاء ــ وقد كان من أشد الملائكة ذكاء قبل أن يعلن العصيان •

جان : (بعد برهة صمت •) لست ذكية، يامولاى • أنا فتاة مسكينة فى قريتي ؛ ولا شيء يميزني عن غيرى من بناتها • ولكنني لا أستطيع أن أصف الاسود بأنه أبيض • هذا كل مافى الامر •

(برهة صمت أخرى •)

المدعي : (يظهر ، من خلفها ، فجأة •)

ماهى العلامة التى تعرف بها عليك من تسميته بملكك حتى عهد اليك بقيادة جيشه ؟

جان : قلت لك أنه لم تكن هناك أية علامة ؟

المدعي : لقد أعطيته قطعة من تميمتك ، لكى تحميه •

جان : لا أدرى ما التميمة •

المدعي : مرشح ، أو تعويذه ، سرك هذا له اسم ونريد أن نعرفه • ماذا قدمت لأميرك فى شينون لكي يستعيد شجاعته بشكل مفاجىء ؟ ألذلك اسم

عبرى ؟ الشيطان يعرف كل اللغات . ولكنه يتصنع العبرية .

جان : (تبتسم.) لا ، ياسيدى . هذا له اسم فرنسي . وأنت نفسك قد لفظت به الآن . أعطيته الشجاعة . هذا كل مافى الامر .

كوشون : حقا ! أم القوة التى تعتقدين أنها الله ، ألم تتدخل بشىء فيما تظنين ؟

جان : (مشرقة .) أعتقد أن الله يتدخل فى جميع الاوقات ، ياسيدى المطران . فحين تلفظ بكلمتين ويصغى اليها الآخرون ، فمعنى ذلك أن الله موجود . الله يبغض الاسراف : فحينما يكفى درهمان من حسن التقدير ، لا تراه يكلف نفسه احداث معجزة .

لادفنو : (بلطف.) هذا جواب حسن ومتواضع، يامولاى، ولا يمكن أن يحسب عليها .

المدعي : (ينهض ، وهو ينفث السم.) ياحفيظ ! أنت اذن لاتؤمنين بالمعجزات ، كما تكشف لنا عنها الكتب المقدسة ؟ أتنكرين مافعله سيدنا عيسى فى افراح كانا ؟ أتنكرين أنه أحيا لعزار ؟

جـان : كلا ، ياسيدى ، لاشك أن سيدنا قد فعل كـل هذا ، مادام مسطورا فى الكتب المقدسة . لقد حول الماء الى نبيذ ، كما سبق له أن خلق المـاء والنبيذ ، ووصل حبل الحياة لدى لعزار .ولكن ذلك بالنسبة اليه ، وهو رب الحياة والموت ، لا يعتبر شيئا خارقا للعادة ، بل كالغزل بالمغـزل بالنسبة الي .

المدعي : (يعوى.) أصغوا اليها . أصغو اليها . انها تنكر المعجزات !

جـان : بلى ، ياسيدى . ولكن يبدو لي أن المعجزات الحقيقية لا يمكن أن تكون شعوذه أو مـن ألعاب الحواة . لأن الحـواة يعملون مثلها فى ميدان قريتي ... المعجزات الحقيقية التى لابد أن ينشرح الله لها فى سمائه هى تلك التىيحققها البشر أنفسهم بالشـجاعة والذكاء اللذين أنعم الله بهما عليهم .

كوشـون : هل تزنين خطورة كلماتك ، ياجـان ؟ انك فى سبيلك الى ان تقولى ، وانت مطمئنه البال ، بأن معجزة الله الوحيدة على الارض هى الانسان ،

ولا شيء سواه . الانسان الذى ليس الاخطيئة وخطأ وحمقا وعجزا ...

جـان : نعم ،ولكنه قوة وشجاعة أيضا ، ووضوح بصيرة فى اللحظة التى يكون فيها على خير حالاتـه . وقد رأيت ، أنا ، ذلك كله فى الحرب ...

لادفنـو : مولاى ، ان جان تريد أن تقول لنا بلغتها الخرقاء ضروبا من الحدس قد تكون خاطئة ولكن لاشك فى انها ساذجة ، ومن صميم قلبها ... ومـع ذلك فان تفكيرها ليس من الصلابة بحيث يمكنه التشكل بقوالب منطقنا . ولعلنا حـين نضيق عليها الخناق بأسئلتنا نخاطر بدفعها الى أن تقول أكثر مما تريد أن تقول ، أو غـير ما تريـد أن تقول ...

كوشـون : أيها الاخ لادفنو ، اننا سنحاول تقدير الجـزء الآخر من اجاباتها بقدر ما نستطيع من أمانة . ولكن من واجبنا أن نسألها حتى النهاية . فاننا غير متأكدين أننا نتعامل مع جان وحدهـا ، لا تنسى ذلك . أنت ، ياجان ، تسامحين الانسان؟ وتعتقدين أنه أعظم معجزات الله ، بل معجزته الوحيـدة ؟

جـــان : نعم ، ياســيدى .

المدعي : (يعوى ، خارجا عن طوره) أنت تجــدفين ! الانسان نجس ، خبث ، خيالات بذيئة ! الانسان يتلوى فى فراشــه ليلا ، وهو فريســة لغرائز الحيوان ...

جـــان : نعم ، ياسيدى . انه الخطيئة ، انه الدناءة . ثم نراه فجأة ، لا ندرى لماذا ، يخرج من الماخــور وهو ذلك الخنزير الصــغير المولــع بالحيــاة والاستمتاع ، ويقفز على رأس جواد حرون لكى ينقذ طفلا صغيرا مجهولا بعد أن كان قد تحمل كل المشاق فى تنظيمه ليلة متعته ...

المدعي : انه يموت كالبهيمة منغمسا فى الخطيئة ، ملعونا ، دون قس !

جـــان : كلا ، ياسيدى ، بل مشرقا كل الاشراق ، نظيفا كل النظافة ، والله ينتظر قدومه باسما . لانــه سلك مرتين سلوك الانسان ، مرة وهو يرتكب الشر ، ومرة وهو يعمل الخير . وقد خلقه الله بالذات من أجل التناقض .
(ضجة غضب من جميع القسس ، حينما تقول

ذلك • المفتش يهدئهم باشـــارة منـــه وينهض فجأة •) :

المفتشــس : (بصوته الهادىء •) جــان ، تركتك تتكلمين طــوال هـــذه المحاكمـــة ، ولم أكد استجوبك قـــط • أردت أن أتركك تصـــلين ••• وقـــد طـــال بك المـــدى ••• وكان المـــدعي يـــرى الشيطان فى كل أمر ، كما كان المطران لا يرى الا كبرياء فتاة صغيرة أثملها النجاح ، أما أنـــا فكنت أنتظر أن يطل شيء آخر من خلف اصرارك المطمئن ، من خلف جبهتك الصغيرة العنيدة ••• وها أنت الآن قد وصلت • أنا هنا أمثل التفتيش المقدس الذى أنا نائبة فى فرنسا • وقد قال لك مولاى المطران ، منذ قليل ، بصفة جد انسانية ان عواطفه البشرية التى تربطه بحـــق الانجليز الذى يعتقد أنه عادل، تختلط مع ذلك بعواطفه كقس ومطران مكلف بالدفاع عن أمنا الكنيسة• أما أنا فقد أتيت من أعماق اسبانيا ، وهذه أول مرة أرسل فيها هنا • وأجهل العشيرة الانجليزية جهلى بعشيرة أرمنياك • وسيان عندى أن يكون أميرك أنت أو هنرى السادس دى لانكستر هو الذى يجلس على عرش فرنسا •• أما النظـــام

المحتوم فى رحاب أمنا الكنيسة التى تستنكر المحاربين غير الشرعيين ـ حتى ولو بحسن نية ـ والتى تحتم بكل صرامة على فرد أن يدخل الصف ، فلا أريد أن أقول أن كل هذه الامور لاتعنيني ـ ولكنها أمور ثانوية ، عمل من أعمال الشرطة التى يتركها التفتيش للمطارنة وقسس الكنائس . التفتيش المقدس يدافع عن شيء أسمى وأكثر سرية من مجرد السلامة المؤقتة للكنيسة . انه يكافح سرا فى المجال غير المرئى ضد دعوى لا يستطيع الكشف عنه الا هو ، ولا يستطيع ان يقدر مدى أخطارها سواه يتأتي له أحيانا أن يشرع سلاحه ضد امبراطور ، ويحدث له فى أحيان أخرى أن ينصب نفس الشباك ويتمرس نفس اليقظة ويوجه نفس القسوة نحو عالم غرم يوحى مظهره بالبراءة وعدم الضرر . أو نحو راع مجهول فى أعماق قرية من فوق سطح جبل ، أو نحو فتاة . وكثيرا ما ينفجر أمراء هذا العالم الفانى بالضحك حين يرونه يتكبد كل هذه المشاق حيث يكتفى الواحد منهم بقطعة حبل وتوقيع جاويش فى ذيل حكم بالاعدام . والتفتيش لا يعبأ بهذه الضحكات ...

انه يتعرف على عدوه ولا يستهين به أينما كان وحيثما حل • وليس عدوه هـو الشـيطان ، الشيطان مشقوق الحافر الذى يخوف بهالاطفال المشاغبين والذى يراه السيد المدعىفىكل مكان• أما عدوه ، عدوه الوحيد فقد لفظت الآن باسمه، وأنت تكشفين الغطاء عن نفسك : انه الانسان • على قدميك ، ياجان ، واجيبى ، فانى أنا الآن الذى أستجوبك •

(جان نهضت ، والتفتت تجاهه • يطلب بصوت محايد •)

أأنت مسيحيـة ؟

جـان : نعم ، ياسـيدى •

المفتشـ : لقد عمدت ، وعشت طفلة صغيرة فى ظل الكنيسة التى تلامس بيتك ، وكانت الاجراس تنظم لك الصلوات والاعمال وقد أجمع رسلنا الذين كنا نبعث بهم الى القرية على نفس الأخبار : وهـى أنك كنت فتاة صغيرة مفعمه بالتقوى وبالرغم من أنك لم تكوني فتاة حزينة بل تحبين المرح ، كنت تعدلين عن اللعب مع الاخريات والجـرى معهن ، وتتسربين الى الكنيسة حيث تظلين فيها

وحيدة جاثية على ركبتيك وقتا طويلا ، وحتى لم تكونى تصلين وانما تكتفين بالنظر فى صور الألواح الزجاجية أمام ناظريك .

جـان : نعم ، ياسيدى ، كنت كذلك .

المفتش : كانت لك صديقة صغيرة تحبك من كل قلبها ، فتاة صغيرة مثلك ، اسمها هوميت .

جـان : نعم ، ياسيدى .

المفتش : لا بد أنك كنت تحبينها كثيرا . لأنك حينما عزمت على الذهاب الى فوكولور ، وانت تعرفين أنك لن ترجعى أبدا ، رحت تودعين جميع صواحبك الاخريات ، أما هى فلم تمرى بها .

جـان : كلا . كنت أخشى ألا أتحمل الموقف .

المفتش : ولم يقتصر حنانك نحو المخلوقات على تلك التى كنت تفضلينها . بل كنت تعنين بصغار الاطفال الفقراء والمرضى ،دون اعلان ،وفى بعض الاحيان كنت تقطعين الاميال والاميال لكي تحملي الحساء الى عجوز بائسة مهجورة فى كوخ بالغابة . وفيما بعد حدث فى أول التحام شاركت فيه أن رحت تنتحبين وسط الجرحى .

جـــان : لم أستطع أن أرى دما فرنسيا يراق .

المفتشـــس : ليس الدم الفرنسي وحده . حدث ذات مرة أن قام فظ من الافظاظ بأسر اثنين من جنود الانجليز خلال مناوشة أمام أورليان وصرع منهما واحدا لم يكن يسير بسرعة كافية . فقفزت من فـــوق جوادك ، والدموع تنحدر من عينيك ، وأخذت رأس الرجل فوق ركبتيك وجعلت تواســـينه وتساعدينه على الموت وتمسحين له الدم المنبثق من فمه وتنادينه بابنك الصغير وتبشرينه بالجنة .

جـــان : أتعرف ذلك ، ياسيدى ؟

المفتشـــس : (بلطف .) التفتيش المقدس يعرف كـــل شيء ياجان . وقد وزن حنانك البشرى قبل أن يبعث بي لمحاكمتك .

لادفـــو : (ينهض .) سيدى المفتش ، اني سعيد بأن أسمع كل هذه التفاصيل التي خيم عليها الصمت حتى الآن . نعم ،ان كل ما نعرفه عن جان منذ طفولتها ليس الا تواضعا ولطفا ومحبة مسيحية .

المفتشـــس : (يلتفت نحوه، وتبدو الصلابة علىوجهه فجأة.) الصمت ، يا أخ لادفو ! أكرر مرة أخرى أنني أنا الآن الذى أستجوب . أرجوك ألا تنسى أننى

هنا أمثل التفتيش المقدس الذى يستطيع وحده آن يميز بين الحب المسيحى ، بين الفضيلة اللاهوتية ، وبين ماهو كريه ، بين ماتعافه النفوس ، بين الارتواء من لبن الحنان الانسانى العكر ...
(يجيل النظر فيهم جميعا .) آه ، أيها السادة ! ... ما أسرعكم بالانصياع للحنان ! يكفي أن تكون المتهمة فتاة صغيرة وأن تكون عيناها صافيتين مفتوحتين عليكم ، تكفى خردلة واحدة من طيبة القلب والبراءة لنراكم على استعداد لما لا يستسيغه عقل ـ وقد انقلب كيانكم . أنتم ياحماة العقيدة ! انى أرى أنه لا يزال أمام التفتيش المقدس خبز على الالواح لتقطيعه ، والاستمرار فى تقطيعه ، ولتعطيفه دائما ، وليقوم آخرون غيرنا بتعطيفه ، بعد أن نمضى فى سبيلنا ، فيصرعون دون رحمة ، ويخففون من كثافة الدماء ، لكى تكون الغابة سليمة ...
(تسود برهة من الصمت ثم يجيب لادفنو .)

لادفنو : ربنا الله ، هل أحب بهذا النوع من الحب ، ياسيد ؟ انه هو الذى قال : « دعوا الاطفال الصغار يثوبوا الى » . ووضع يده على كتف المرأة الزانية وقال لها : « أذهبى بسلام . »

المفتشـــس : (يرعد •) أكرر لك ، يا أخ لادفنـــو ، أن تلزم الصمت وألا تحتم على أن أشتغل بحالتك ، أنت الآخـــر •

اننا نقرأ فقرات من الانجيل في قداس يوم الاحد، ونطلب الى قسيسينا أن يفسروها • فهل ترانـــا ترجمناها الى اللغة الدارجة ؟ هل وضعناها في متناول جميع الايدى ؟ أليست جريمة كبرى أن نترك النفوس البسيطة تحلم وتستنبط من نصوص لا يصح أن يفسرها أحد غيرنا ؟ (يهدأ •) أنت شاب ، يا أخ لادفنو ، هذا ما أحب أن أفترضه ، ومن ثم فأنت كريم • ولكن اياك أن تتخيل أن الشباب والكرم يجدان ترحيبا أمام حماة العقيدة • انهما مرضان عارضان ستشفيك منهما التجارب • كان ينبغى لنا ، قبل أن نقبلك بيننا ، أن ننظر الى ســـنك بدلا من علمك الذى يبدو أنه غزير • لن تلبث التجارب أن تعلمك أن الشباب والسخاء ، أن الحنان البشرى ليست الا أسماء لاعداء • على أية حال هذا ما اتمناه لك • واعلم أن البسطاء ، اذا عهدنا اليهم ، حمقا منا ، بالنصوص التى تتكلم عنهـــا فانهم سيستنبطون منها حب الانسان ، ومن يحب الانسان لا يحب الله •

لادفنـــو : (بلطف •) ومع ذلك فقد أراد الرب أن يجعل من نفسه بشرا •••

المفتشـــس : (يلتفت فجأة نحو كوشون ، مقاطعا •)
مولاى المطران ،بمقتضى سلطتك المطلقة كرئيس لهذه المناقشات ، أطلب اليك أن تحرم نفســك اليوم من معاونة مساعدك الشاب •وبعد الجلسة سأبلغ بالنتائج التى يجب أن توجه ضده اذا لزم الأمر (يرعد فجأة•) ضده أو ضد غيره ! فليست هناك رؤوس تمتنع علينا ، وأنتم تعرفون • بل سأوجه الاتهام الى نفسى اذا شاء الله أن يضلنى• (يرسم الصليب بوقار شديد ، ويختم قائلا •) حفظنى الله (تيار من الخوف يهب على المحكمة، كوشون يقول بكل بســاطة للأخ لادفنو أن يخرج باشارة حزينة منه •)

كوشـــون : أخرج ، ياأخ لادفنو •

لادفنـــو : (قبل أن يبتعد •)
سيدى المفتش ، انى أدين لك بالطاعة ، وكذلك لمولاى المطران المحترم • وأخرج ألوذ بالصمت• ولكنى أرجو من سيدنا عيسى ، حينما تكون

بين يديه ، أن يحملك على أن تراعى ضعف عدوتك الصغيرة ...

المفتشـــس : (لايجيب ، يتركه يخرج ويستأنف بلطف ، بعد خروجه .)
كلما كان عدونا صغيرا وضعيفا ، كلما كان غضا، كلما كان طاهرا ،كلما كان بريئا ،ازداد خطره...
(يعود الى الالتفات الى جان ، ويستأنف بصوته المحايد .)
أول مرة سمعت فيها الاصوات لم تكونى قـــد جاوزت الخامسة عشرة من عمرك . وفى البداية اقتصرت على أن تقـــول لك : « كونى طيبـــة وعاقلة ، وأكثرى من الذهاب الى الكنيسة ... هه » ؟

جـــان : نعم يا سيدى .

المفتشـــس : (يبتسم . غامض .) :
حتى هنا ــ وهذا قد يصدمك ــ لم يكن هناك شىء غير معتاد فى حالتك . وهذا ما قاله لـــك سيدى كوشون سجلاتنا ملأى بتقارير قسيسينا التي تقول بأنه ظهرت فى قريتهم فتاة صغيرة تسمع أصواتا . ونحن لا نعبأ بـــذلك . فتعبر

الفتاة الصغيرة ، بكل اطمئنان ، أزمتها الصوفية مع أمراض طفولتها . واذا طالت أزمتها الى ما بعد البلوغ ، فانها على وجه العموم تجعل من نفسها راهبة ، ومن عادتنا ، فى هذه الحال ، أن نبلغ ديرها بكل بساطة أن يحد من وقت تأملها وصلاتها ، وأن يثقل كاهلها بالأعمال الخشنة ـ التعب علاج جيد ـ فينتهى كل هذا الى الانطفاء والغرق فى ماء الغسيل بكل هدوء ... وفى أحيان أخرى يقصر أمد الأزمة ، تتزوج الفتاة ، ولا تكاد تحصل على طفلها الثانى الذى يتعلق بأذيالها ويعوى حتى ترانا مطمئنين على الأصوات التى ستسمعها منذ الآن . وأنت قد استمر بك الحال وذات يوم صافى الأديم قالت لك الأصوات شيئا آخر . شيئا محددا ، غريبا على الأصوات السماوية .

جان : أن أذهب لانقاذ مملكة فرنسا وطرد الانجليز منها .

المفتش : هل عانيت من الحرب فى دومريمى ؟

جان : كلا . لم يحرق شىء قط عندنا . ذات مرة وصل بعض الجنود الانجليز بالقرب منا ، فغادرنا

جميعا القرية • ولما عدنا فى الغد ، كان كل شىء
على حاله ، وكانوا هم قد ابتعدوا عن القرية •

المفتشـــس : كان أبوك ثريا • ولم تعاف أعمال الحقل •••

جـــان : كنت مولعة بحراسة غنمى • ولكنى لم أكن راعية
غنم كما تقولـــون كلكم • (تعتـــدل بكبريـــاء
ساذجة •) كنت فتاة البيت • ومن جهة الخياطة
والغزل لا توجد امرأة واحدة فى رووان تستطيع
أن تبزنى •

المفتشـــس : (يبتسم من هذا الفخر الصبياني •)
كنت اذن فتاة صغيرةمتيسرة الحال وسعيدة•ولم
يكن فى فرنسا ، بالنسبة اليك ، أحســـن مـــن
حكايات السهرة • ومع ذلك شعرت فى أحـــد
الايام أنه يتحتم عليك أن تذهبى •

جـــان : هذا ما أخبرتنى به الأصوات •

المفتشـــس : فى أحد الأيام شعرت أنه يتحتم عليك أن تضطلعي
بذلك الشقاء الذى يعانيه الناس الآخرون مـــن
حولك وحينئذ كنت قد عرفت كل شىء ، عرفت
أن مغامرتك ستكون مجيدة قصيرةالأمد ، وأنك
اذا ماانتهيت من تتويج الملك ستجدين نفســـك

حيث أنت فى هذه اللحظة محاصرة بيننا ، على حافة الجورة التي تنتظرك مجهزة للاشعال فى ميدان السوق • لا تكـذبى ، ياجـان • كنت تعرفين ذلك •

جـان : نبأتنى الأصوات بأنى سأقع فى الأسر ، وأنـى سأنقذ بعد ذلك •

المفتشـ : (يبتسم •)
تنقذين ! هذا مصطلح من مصطلحات الأصوات السماوية • لاشك أنك كنت تدركين أن مصطلح الانقاذ هذا يعنى بالنسبة لها ، معنى غامضا جدا، معنى متطايرا كالأثير ، أليس كذلك ؟ والمـوت انقاذ ، بطبيعة الحال • ومع ذلك ذهبت ضـد ارادة أبيك وأمك ، رغـم كل العقبات التـ وقفت فى سبيلك •

جـان : نعم ، ياسيدى ، لم يكن بد من ذلك ، ولو كان لي مائة أب ومائة أم ، وحتى لو تحتم على أن أبلى حتى الركبتين ، كان لا بد لي أن أذهب •

المفتشـ : لكى تسـاعدى اخـوتك ، الرجال ، فى عملهم الانساني البحت ، فى تملك أرض ولدوا فـوق ترابها ويتخيلون أنها أرضهم •

جــان : لا يمكن أن يشاء ربنا الله للانجليز أن يسلبوا ويقتلوا ويشرعوا فى عقر دارنا . وحينما يعودون الى عبور البحر ، سيصيرون ، هم أيضا ، عيال اللــه فى أرضــهم ! وحينئذ لن أذهب اليهــم لاستثارة غضبهم .

المدعي : ادعاء ! كبرياء ! ألا تعتقدين أنه كان من الخير أن تستمرى فى الخياطة والغزل بجانب أمك ؟ .

جــان : كان لدي شيء آخر ينتظرني ، يا سيدى . أما بالنسبة لأشغال النساء ، فلن تعدم أن تجد لها نساء أخريات يقمن بفعلها .

المدعي : ما دمت ، فى واقع الأمر ، على صلة مباشرة بالسماء ، ومــن ثم تتخيلين أن دعواتك تحظي هنالك بمكانة خاصة ، لم يكن أمامك الا خطوة واحدة . ألم ترد بخاطرك هذه الفكرة البسيطة جدا ، التي تتناسب وطبيعتك كفتاة ، وهي أن تكرسي حياتك للعبادة ورياضــة النفس لكي تستجيب السماء لدعائك وتطرد الانجليز ؟

جــان : يريد الله ، ياسيد ، أن يبدأ المرء بالطعن ! أمــا الصــلاة فزيادة فى الخير . فضــلت أن أشرح لشارل كيف ينبغي أن يهاجم ، وكان ذلك أبسط

مـــن غيره ، فصدقني ، وكذلك صدقني النبيل دونوا . ولاهير وسانترای ، ثورای الهائجان !
آه ! لقد قمنا معا ببضع معارك مبهجة ... لقد كنا على مايرام فى غلس الصباح ، بين أصدقاء أوفياء ، والحذاء بجانب الحذاء ...

المدعي : (بمرارة .)
لكن تقتلي ، ياجان ! ... هل أمر الرب بالقتل ؟
(جان لا تجيب .)

كوشـــون : (بلطف .)
أنت أحببت الحرب ، ياجان ...

جـــان : هكذا أراد اللـــه . ولا بد أن يشـــملني الرب بالغفران مـــا بقى على أرض فرنســـا انجليزى واحد . وفى المساء كنت أبكي فى ميدان المعركة أن أرى عيد الصباح البهيج قد تجلى عـــن كل هذا العدد من الموتى المساكين .

المدعي : وفى صباح الغد كنت تستأنفين ؟

جـــان : هكذا أراد الله . ما بقى انجليزى واحد على أرض فرنسا . ومع ذلك ليس من الصعب فهم ما أقـــول . كان هناك أولا العمل الذى يجب

القيام به ، هذا كل ما فى الأمر • أنتم علماء ،
وتسرفون فى التفكير • ولم تعـودوا تفهمون
بسائط الامور ، لكن أغبى جنودى كان يفهم
ذلك أليس كذلك ، يالاهير ؟

(لاهير يخرج فجأة من بين الجمهور ، ضخم ،
مغطى بالحديد ، مرح ، عنيف •)

لاهـير : بكل تأكيد ، يا سيدة جان !

(كل الموجودين ينغمسون فى الظل ، ويقع عليه
الضوء وحده • يسمع من بعيد صدى موسيقى
نايات جان تذهب اليه بلطف ، غير مصـدقة ،
وتلمسه بأصبعها وتتمتم •)

جـان : لاهـير •••

لاهـير : (مستأنفا مزاح كل صباح •)

ما قولك ، يا سيده جان ، لقد أدينا صـلاتنا
البسيطة كما اتفقنا ، فهل سنطعن قليلا هـذا
الصباح ؟

جـان : (تلقى بنفسها بين ذراعيه •)

لاهير الطيب ! عزيزي لاهير البدين ! انه أنت !
آه ! رائحتك حلوة !

لاهـــير : (محرجا .)
كوب من النبيذ الأحمر وبصلة . هذه قائمة
طعامي فى الافطار . ولكني أديت صلاتي قبل ،
حتى لا يشـــم الرب رائحتي وأنا أخاطبه ...
لاتقربي مني كثيرا ، لابد أن رائحتي لا تطاق .

جـــان : (ملتصقة به .)
كلا ـــ رائحتك حلوة !

لاهـــير : لاتخجليني ، ياســـيدة جان . فى العادة ، أنت
تقـــولين لي أن رائحتي لا تطاق ، وهـــذا عار
بالنسبة لشخص مسيحي . فى العادة أنت تقولين
لي أنه لو هبت الريح نحو الاتجاه الآخر لكشفت
عن وجودنا لجنود الانجليزلشـــدة ما أفـــوح
بالرائحة الكريهة ، وأننا سنخطىء كميننا بسببي
... بصلة واحدة صغيرة وقدر اصبعين من
النبيذ الاحمر ، لا أكثر . لا شيء أحسن مـــن
الصراحة ، لم أخلطه بالماء .

جـــان : (ملتصقة به .)
لا هير الطيب ! كنت غبية ، لم أكن أعرف .
أنت عليم بالبنات اللائي لم يحدث لهن أى شيء
مليئات بالافكار المصوغة فى القوالب ، يقط

بالرأى فى كل شيء ، وهن لا يعرفن شيئا • وقد
فهمت الآن • رائحتك حلوة ، رائحة الوحش ،
رائحة الرجل •

لاهـــير : (باشارة متواضعة •)
انها الحرب • القائد ليس شأنه شأن قسيس أو
شاب تافه ، لايستطيع تجنب العرق ••• ولكى
يغتسل وهو فى غمار الحملة ••• أولئك الذين
يغتسلون ليسوا رجالا ! ••• من جهة البصل
أنا لا أقول شيئا ••• هذا أمر زائد عن الحد •
كان يمكن أن أكتفى فى الصباح بقطعة مـــن
السجق المتبل بالثوم كجميع الآخـــرين • هذا
أرقى من جهة الرائحة • على كل حال البصل
ليس من الخطايا ، أليس كذلك ؟

جـــان : (تبتسم •)
كلا ، يالاهير •

لاهـــير : معك أنت ، لم أعد أفهم شيئا •••

جـــان : ليس هناك من شيء يعتبر خطيئة • لاهير ، هذه
هى الحقيقة ! لقد كنت غبية ، وقد بالغت فى
اقلاقك ، لم أكن أعرف • دبى البدين ، انك
تفوح بالروائح الطيبة ، رائحة العرق الحار ،

والبصل النيىء والنبيذ الأحمر،كل هذه الروائح البريئة التى تميز الرجال . يادبى البدين ، انك تقتل وتجدف ولا تفكر فى البنات .

لاهير : (فى تمام الدهشة .) أنا ؟

جان : نعم ، انت . لا تتصنع الدهشة ، أيها الخنزير الصغير . ومع ذلك فأنت أشبه الأشياء بمليم جديد فى يد الاله .

لاهير : أهذا حقيقى ، ياسيدة جان ؟ أتعتقدين أنى بحياة الكلاب التى أحياها لن أعدم فرصه للذهاب الى الجنة ، ما دامت أؤدى صلاتي كل يوم ، كما أتفقنا ؟

جان : أنهم ينتظرونك فيها ، يالاهير ! جنة الله ملأى بالأفظاظ من أمثالك .

لاهير : أهذا حق ؟ اني مستعد لتحمل كل شيء ، اذا وجدت هناك بعض الاصدقاء ... لقد أخشى دائما أن أشعر بالضيق مع القديسين والمطارنه ... لا بد للمرء أن يجد من يبادله الكلام ...

جان : (تقفز عليه وتشبعه بلكماتها ، وهي فى بهجة غارمة .)

آيها الأبله البدين ! أيها الخنزير السمين ! ان الجنة مليئة بالمغفلين ! هكذا قال السيد المسيح • ربما لم يكن هناك من يدخلونها غير هؤلاء ، أما الآخـــرون فلعل لديهم مـــن الفرص لارتكاب الخطيئة داخل رؤوسهم القذرة مايجعلهم مضطرين جميعا للانتظار على بابها! • ان وجود أصدقائك فى الجنة من أهون الأمور !

لاهـــير : (قلقا •)
أيا ما كان لن نضايق بعضنا بعضا بالتزام الأدب ؟ لن نحرم أنفسنا من العراك بعض الشيء ، على أية حال ؟ •

جـــان : طول النهـــار ! •••

لاهـــير : لحظة من فضلك ! فى الوقت الذى لا يرانا الله فيـــه !

جـــان : ولكن الله يرانا فى كل وقت ، أيها المعتوه ! انه يرى كل شيء وسيتسلى برؤيتكم تفعلون مـــا تفعلون وسيصيح قائلا : « هيا يالاهير ! أدخله فى حبائل سنتراى ! امسح به الارض ، هذا الرخو ! دعه يعرف أنك رجل ! ••• »

لاهـير : هكـذا ؟

جـان : تصوره أكثر تهذيبا ، بلاشك •

لاهـير : (فى قمة حماسة •) آه يا للشيطان !

جـان : (تصرخ فيه بقسوة ، فجأة •) لاهير !

لاهـير : (يطأطيء رأسه •) عفوا !

جـان : (بلا رحمة •) اذا جدفت ، فسأقذف بك الى الشارع •

لاهـير : كان ذلك من فرط السرور • كنت أريد أن أقول لـه : شـكرا !

جـان : (على وجهها ابتسامة •) هذا هو ما فهمه • ولكن لا تعد ، والا كنت أنا التي أتصـدى لك ! هيا ، كفى كلاما هذا الصباح • والآن الى الجواد ، يا بنى • الى الجواد ! •
(يمتطيان جوادين خياليين • انهما على صهوتي جوادين أحدهما بجانب الآخر ، يتمايلان تبعا لحركات جواد كل منهما •)

جـان : يشعر الانسان بانشراح الصدر وهو على صهوة جواده فى الصباح الباكر ، لاهير مع زميله •••

تنبعث منك رائحة العشب المبلل . هـذه هي الحرب . من أجل هـذا يقاتل النـاس . لكي يشمون رائحة العشب المبلل الطيبة فى الصباح ، حذاء بجانب حذاء مع زميل .

لاهـير : لاحظي أن هناك أناسا يكتفون بنزهة قصيرة...

جـان : نعم ، ولكن هؤلاء لا يستمتعون برائحة الفجر الحقيقية ، لا يشعرون بحرارة الزملاء تشع فى أفخاذهم . ان الله لم يمنحنا كل ذلك ، يا صغيرى الا بثمن ، بثمن هو الموت فى نهاية الأمر .
(برهة صمت ، يتقدمان فى الريف تهدهما حركات الجوادين .)

لاهـير : (يسأل .) واذا قابلنا جنودا من الانجليـز ، جنودا يحبون ، هم أيضا الروائح الطيبة ؟

جـان : (بابتهاج .) نغوص فيهم ! هل معنى ذلك أنك خائف يافتاى ؟

لاهـير : أنـا ؟

جـان : نغوص فيهم ، يا صديقي الصغير ، ونطعن بكل شدة . انما نحن هنا من أجل ذلك !
(برهة صمت قصيرة ، لاهير يعود الى السؤال .)

لاهير : لكن اذا كان ما تقولين حقا ، ياسيدة جان ، فمعنى ذلك أن هؤلاء الذين نبعث بهم نحن الى العالم الآخر يذهبون اذن الى الجنة ــ مباشرة : ليس هناك أغبى من الانجليز ...

جان : لا شك أنهم سيذهبون اليها . ماذا تعتقد ، أنت؟ (تصيح فجأة .) قف ! (يتوقفان .) هناك ثلاثة جنود من الانجليز . لقد رأونا . هاهم يفرون ! كلا ! رجعوا . فكروا أننا اثنان فقط . انهم يهاجمون أأنت خائف يا لاهير ؟ أنا لا أدخل فى الحساب ، فلست الا فتاة ، بل ترى أني لا أحمل سيفا . هل ستقابلهم رغم ذلك ؟ .

لاهير : (شارعا سيفه وهو يزأر .) ملعونون ، نعم ، وحق الشيطان ! ...
(يصيح موجها صياحه الى السماء وهو يهاجم .) لم أقل شيئا يا الهى ، لم أقل شيئا ! لا تعر ذلك التفاتا ... (يقذف بنفسه وسط المحكمة وهو يقفز ويهاجم ، ويبددهم بضربات قوية من سيفه . يختفي فى القاع ، وهو مستمر فى القتال ...)

جان : (جاثيه.) لم يقل شيئا، يا الهى، لم يقل شيئا ! انه رجل طيب كساتتراى . انه طيب كأى جندى من

جنودى الذين يقتلون ، ويغتصبون ، وينهبون ، ويجدفون ••• انه طيب ، ياالهى ، كذئابك التي خلقتها بريئة ••• أنا مسئولة عنهم جميعا !

(انها مستغرقة فى صلواتها • تكونت المحكمة حولها مـن جديد ، النور يعود • جان ترفع رأسها ، تراهم ، يبدو كأنها تستيقظ من حلم ، تتعجب •)

جـان : عزيزى لاهير ! عزيزى سانتراى ! أوه ! الكلمة الأخيرة لم تصدر بعد • سترون أنهما سيأتيان لانقاذى ، سيأتيان كلاهما ومعهما ثلاثمائة أو ربعمائه من أجود الرماح •••

كوشـون : (بلطف•) لقد جاءا ، ياجان ، حتى أبواب رووان لكى يعرفا عدد الانجليز الذين فى المدينة ، ثم رجعا •••

جـان : (منهـارة بعض الشـيء •) آه ! لقـد رجعـا ؟ ••• دون قتـال ؟ (فترة صـمت ، تستأنف •) رجعا لاحضار النجدة ، بكل تأكيد ! أنا التي علمتهما أنه لا ينبغي الهجوم بأى صورة،

كما حدث فى آزنكور ٠

كوشـون : لقد رحـلا نحو الجنوب ، جنـوب اللوار ، لأن شـارل قد مل الحرب ، فسرح جيوشـه ويحاول أن يعقد معاهدة ليحتفظ ، على الأقل ، بالركن الصغير الذى بقي له مـن فرنسا ٠ لن يعودا أبدا ، ياجان !

جـان : هذا غير صحيح ! سـيعود لاهير ولو لم تكن أمامه أى فرصة للعودة !

كوشـون : لاهير ليس الا رئيس عصابة باع نفسه وفرقته لأمير آخر حين رأى أن أميرك يطلب السلام ٠ انه يزحف الآن نحو المانيا ليجد بلدا آخر ينهبه ـ بكل بسـاطة ٠

جـان : هذا غير صحيح !

كوشـون : (يقف ٠) هل كذبت عليك يوما ، يا جان ؟ هذا صحيح ٠ اذن ، لماذا تضحين بنفسك مـن أجل الدفاع عمن هجروك ؟ الأشخاص الوحيدون فى العالم الذين ما زالوا يحاولون انقاذك ـ مهما بدا لك من غرابة هذا الأمر ـ هم نحن ، أعداؤك

السابقون وقضاتك • انكرى ، ياجان ، انك لم تعودى تقاومين الا من أجل من خانوك • ارجعي الى أحضان أمك الكنيسة تواضعي لها تأخذ بيدك • أنا مقتنع بأنك فى أعماق قلبك ، لم تكفي لحظة واحدة عن أن تكوني احدى بناتها •

جـان : نعم ، أنا بنت الكنيسة !

كوشـون : أوبي الى أمك ، يا جان ، دون تحفظ ! وستقدر نصيبك من الخطأ ، فتنقذك من هذا الضيق الذى يتولد من حكمك عليها بنفسك ، لن يكون عليك أن تفكرى فى شيء ، بل ستخضعين لما تقرره عليك من عقاب ، ثقيلا كان أم خفيفا — فى النهاية تذهبين فى سلام ! لا بد أنك فى حاجة الى السلام •

جـان : (بعد برهة صمت •) أما فيما يتعلق بالعقيدة ، فأني أثوب الى الكنيسة ، ولكن بالنسبة لما فعلت ، فاني لن أجحد نفسي ، أبدا •
(حركة من القسس ، المفتش ينفجر •)

المفتش : ترون ، أيها السادة ، كيف يشمخ الانسان بأنفه ! أتفهمون الآن من تحاكمون ؟ هذه الأصوات السماوية كانت قد أصمت أسماعكم أيضا ،

وهذه كلمة شرف ! انكم تصرون على البحث عن لا أدرى أى شيطان متخف وراءها ••• كم كنت أتمنى ألا تتعلق المسألة بغير الشـيطان ! حينئذ كانت تنتهي المحاكمـة بأقصى سرعة • الشيطان حليفنا • أليس ملاكا سابقا ؟ انه من أسرتنا • فهو بتجديفاته وشتائمه ، بل وحتى ببغضه لله ، يقوم بعمل من أعمال العقيدة ••• الانسان ، الانسان ، بشفافيته واطمئنانه ، يخيفني أكثر مما يخيفني الشيطان ألف مرة • انظروا اليه مغلولا ، أعزل من كل سلاح ، مهجورا من ذويه ، غير واثق ـ أليس كذلك ، ياجان ـ غير واثق من أن تكون الأصوات التي صـمتت منذ وقت طويل ، قد كلمته حقا فى يوم من الأيام • فهل يخر جاثيا متلمسا من الله أن يأخذ بيده ؟ هل يسعى ، على الأقل ، الى رجاء هذه الأصوات أن تعود لتنير له الطريق ؟ بل يأبى ، ويواجه العذاب والاذلال والطعنات فى بؤسـه الحيواني ، على فراش مندى داخل زنزانته ، ويرفع عينيه نحو تلك الصورة التي لا تقهر ، صورته هو (يرعد •) ••• التي هي الهه الوحيد ! هذا هو ما أخشاه !

ويجيب ويكرر ، أنت ، ياجان، تكادين تموتين من الرغبة فى أن تقولي مرة أخرى : « ولكن بالنسبة لما فعلت ... » .

جـــان : (بوداعه .) لن أجحد نفسي أبدا .

المفتشـــ : (يكرر ، وهو يتلوى من الحقد .) بالنسبة لما فعلت ؛ لن أجحد نفسي أبدا ! ... أتسمعونها ، أتسمعون هذه الكلمات التي يقولونها جميعا وهم فوق جورة النار أو تحت المقصـــلة أو فى غرف التعذيب ، فى كل الحالات التي أستطعنا فيها القبض عليهم ؟ الكلمات التي لن ينفكوا أيضا عن قولها بعد قرون ، بنفس الوقاحة ، لأن طريق مطاردة الانسان لن يغلق أبدا ... فمهما بلغت قوتنا يوما من الأيام ، بشكل أو بآخر ، ومهما ثقلت وطأة الفكـــرة على العالم ، ومهمـــا كان تنظيمها وأمنها مـــن القسوة والدقة والبراعة ، فانه سيوجد دائما انسان يطارد فى مكان مايكون قد فر اليه ، ويقبض عليه فى نهاية الأمر ويقتل ولكنه يذل الفكرة مرة أخـــرى وهي فى أوج قوتها، لأنه بكل بساطة يقول « لا » دون أن يغض من بصره . (يصفر من بين أسنانه مليئا بالحقد ،

وينظر الى جان ٠) هذا الجنس الوقح ! (يلتفت ثانية نحو المحكمة ٠) هل تحتاجون لمواصلة استجوابها ؟ أن تسألوها لماذا قذفت بنفسها من أعلى هذه القلعة حيث كانت سجينة لكي تفر أو تحطم نفسها ضد وصايا الله ؟ لماذا تركت أباها وأمها ، ولبست ملابس الرجال هذه التي لم تعد تريد التخلي عنها ، ضد وصايا الكنيسة ؟ انها سترد عليكم بنفس جواب الانسان : « ما فعلته ، فعلته ، وهو لي ، وليس فى مقدور أحد أن ينتزعه مني ، ولست أستنكره ٠ » (يصيح فيهم ٠) هيه ! يجب علينا ، ياسادتي ، أن نعمل بطريقة أو بأخرى ومهما كلف ذلك البشرية من ثمن ، على أن نعلم الانسان كيف يجب أن يقول « نعم » ! فما دام هناك انسان واحد لم يحطم ، بقيت الفكرة معرضة لخطر الهلاك ، حتى ولو سيطرت على بقية العالم وطحنته طحنا ٠ ولذلك أطالب بالنسبة لجان أن يسلط عليها سيف الحرمان وأن تطرد من بين أحضان الكنيسة وأن يعهد بها الى قوة الذراع البشرى لكي تبطش بها ٠ (يضيف بصوت محايد ، تاليا صيغه معينة ٠) ٠٠٠ راجيا اياها ، مع ذلك ، ألا يصل بطشها الى الموت أو

مؤلف

بتر الأطراف . (يعود الى الالتفات الى جان .)
سيكون ذلك انتصارا آعجف عليك ، ياجان .
ولكنه على أية حال سينتهي بك الى الصمت .
كما أننا حتى الآن لم نجد وسيلة أخرى خيرا
منـــه .
(يجلس وسط الصمت .)

كوشـــون : (بوداعه .) كان مولاى المفتش أول من طلب طردك من رحمة الله واسلامك للتعذيب . جان . أخشى ، بعد لحظـــة ، أن يقوم مولاى المدعي بنفس الطلب . كـــل منا ســـيتقدم بمطلبـــه ، وسيتحتم على أن أفصل فى شأنك . وها هي ذى أمك الكنيسة تستحلفك لآخر مرة ، قبل أن تبتر من جسمها هذا العضو الأشل ، الذى هو أنت ، وتلقي به بعيدا عن أحضانها ، ولا تنسى أن الشاة الضالة أعز عليها من جميع شياهها . (يصـــدر اشارة ، فيتقدم رجل .) أتعرفين هذا الرجل ، يا جان ؟ (تبدو عليها قشـــعريرة صغيرة مـــن الرعب .) هذا رئيس الجلادين فى رووان . وهو الذى سيستحوز عليك بعد قليل ، اذا لم تريدى أن تعهدى الينا بروحك لانقاذها . هـــل نارك جاهزة ، يا سيد ؟ .

الجـلاد : جاهزة ، يامولاى ، أكثر ارتفاعا من الجورات النظامية ، هكذا تلقيت الأوامر ، لكي يستطيع المشاهـدون رؤية البنت بوضـوح من جميع الجهات • المحزن بالنسبة لها أنني لن أستطيع مساعدتها، لأنها ستكون أعلى من متناول يدى•

كوشـون : ماذا تعني بمساعدتها ، أيها السيد ؟

الجـلاد : حركة يعرفها أصحاب المهنة ، يامولاى ، وهي من الأمور التقليدية ، اذا لم تكن هناك تعليمات خاصـة • يدع الجـلاد هبات اللهب الأولى تتصاعد ، ثم يدور ليتسلق من الخلف ، تحت ستار الدخان ، كما لو كان يريد أن يرتب الحزم ، ويخنق الضحية ، فلا يبقى بعد ذلك الا الهيكل الذى يترك المشي على رسله • هذا أقل قسوة • ولكنها ، فى ارتفاعها ، تتجـاوز متناول يدى ، تبعا للتعليمات ، فلن أستطيع التسلق (يضيف ، ببساطة •) حينئذ سيطول عليها الوقت ، بطبيعة الحـال •

كوشـون : أسمعت ، يا جان ؟ •

جـان : (بوداعة •) نعـم •

كوشون : مرة أخيرة ، سأمد اليك تلك اليد العظيمة ، يد الكنيسة ، أمك المنقذة التي تريد انتشالك وانقاذك . ولكن ليس أمامك الا القليل من الوقت . أنصتي الى هذا الضجيج ، انه الجمهور الذى ينتظرك منذ الفجر ... لقد جاءوا مبكرين ليحصلوا على أماكن صالحة . وهم فى هذه اللحظة يأكلون زادهم ويجرجرون أطفالهم ويتبادلون النكات ويسألون الجنود عما اذا كان موعد العملية قد حان . انهم ليسوا أشرارا . ولكنهم هم أنفسهم الذين كانوا سيجيئون للتصفيق لك لدى دخولك محوطة بالجلال ، لو كنت قد نجحت فى الاستيلاء على رووان .دارت الأمور على غير ماكنت تقدرين ، هذا كل ما فى الأمر ببساطة ، فجاءوا يشاهدونك وأنت تحترقين انهم فى مأمن من جميع الأحداث ، فيجدون فى انتصار عظماء هذا العالم وفى موتهم تسليتهم الوحيدة . يجب ان تسامحيهم يا جان . انهم طول حياتهم يدفعون الثمن غاليا ، أن كانوا هم الشعب ، من أجل هذه الضروب الصغيرة من التسلية .

جـــان : (بوداعة.) انى أسامحهم.وأنت أيضا يا سيدى.

المدعي : (ينهض عاويا .) يا للمتغطرسة ! يا للمتغطرسة المقززة ! مولاى يكلمك كـــلام والـــد ، لينقذ نفســك الضـــالة البائســـة ، وأنت تجديـــن فى نفســك من الجرأة ما يجعلك تقولـــين له انك تسامحينه ؟

جـــان : مـــولاى يكلمني بلطف ، ولكني لا أدرى اذا كان ذلك من أجل انقاذى أم من أجل قهرى . ولما كان لزاما عليه ، بالرغم من كل شىء ، أن يأمر بحرقى بعد قليل ، فانى اسامحه .

كوشـــون : جان ، حاولى ان تفهمى ان فى رفضك شيئـــا من الشناعة العقلية . انت لست كافرة ؟ الله الذى تنسبين نفسك لربوبيته هو أيضا ربنا . ونحن بالذات أولئك الذين اختارهم لهدايتك من خلال حواريه بطرس الذى أسس كنيسته . ألم يقل الله لصنيعته « ستخاطبني مباشرة . » ويقول « أنت الحجر وعلى هذا الحجر سأبنى كنيستي ... وقسيسوها سيكونون حقرائي ؟ » جان ؟

جـــان : (بوداعة .) لا .

كوشـــون : اذن لماذا لا تريدين أن تعملى ما أمر الله به ؟
لماذا لاتريدين ان تعهدى بخطئك الى الكنيسة
كما كنت تفعلين ــ طفلة ــ فى قريتك ؟ هــل
فقدت الايمان ؟

جـــان : (تصيح فجأة ، فى حالة قلق وضيق •)
أريد الاستســلام للكنيســة • أريد التناول
المقدس ! ولكنهم يأبونه علي •

كوشـــون : سنمنحك اياه بعد الاعتراف وبداية التوبــة
ولا يجب عليك لذلك الا أن تقولى لنا « نعم »
أنت شجاعة ونحن نعرف ذلك ، ولكن جسدك
لا يزال غضا ، ولا بد انك تخافين الموت ؟

جـــان : (بوداعة •) نعم • انا خائفة • ولكن ما جدوى
ذلك ؟

كوشـــون : انى أقدرك ، يا جان ، تقديرا يجعلني أعتقد
بأن الخوف لا يكفى لحملك على الجحود • لكن
لا بد ان يكون لديك خوف آخر أشــد من
من ذلك : أن تكوني مخدوعة وأن تعرضــي
نفسك ، من أجل الكبرياء ، من أجل العناد ،
للعنة الأبدية • ماذا يضيرك اذن ، حتى لو كانت
هذه الأصوات من عند الله ، أن تقدمى وثيقة

خضوعك لقسيسى كنيسته ؟ اذا كنا لا نعتقد فى أصواتك ووصاياها ووقعنا عليك العقاب الذى نرى أنه معقول ـ اذا سلمنا بأن الله قد كلمك حقا بلسان طاووس ملائكته ميكائيل وبلسان قديسيه ، اذن فنحن اللذين نرتكب خطيئة شنعاء من الجهل والزهو والكبرياء ، ونحن الذين سنكفر عنها طوال حياتنا الباقية . اننا نحمل على كواهلنا هذه المخاطرة من أجلك ، يا جان وانت لا تخاطرين بشيء . قولي لنا « اعهد بنفسى اليكم » قولى لنا بكل بساطة « نعم » وأنت فى سلام ، وانت مبرأة بيضاء بكل تأكيد ولم يعد عليك أن تخاطرى .

جان : (مرهقة فجأة .) لماذا تفرض على هذا العذاب البطىء ، ياسيدى ؟ كنت أفضل أن تصرعنى .

كوشون : (يبتسم .)
لو صرعتك لقدمت عذرا جليلا لكبريائك التى لا تطلب لك خيرا من الموت . انى أقودك فى طريق العقل ، لأن الله يراك ملآى بحسن التقدير

والعقل . بل أتوسل اليك ، لأنى اعرف أنك
غضة الاهاب . أنا رجل هرم ، يا جان ، لم أعد
أنتظر من هذا العالم شيئا يذكر ، وقد قتلت
كثيرا ، ككل أولئك الذين هم معنا هنا ، من
أجل الدفاع عن الكنيسة . وهـذا يكفي لقد
تعبت ومللت . ولا أريد ، قبل موتى ، أن أكون
قد قتلت فتاة صغيرة أيضـا . فساعديني أنت
أيضا .

جـان : (تنظر اليه حائرة بعد برهة صمت .) ماذا تريد
أن يكون جوابي ؟ .

كوشـون : (يقترب .) أولا وقبـل كل شيء ، يجب أن
تفهمي أنك اذ تعلنين انك واثقة من أن اللـه
أرسلك لم يعد مفيدا ، لا لشيء ، ولا لانسان
بل لا معنى له الا ان يحقق مصلحـة الجـلاد
ومصلحة الانجليز . ان ملكك نفسه قد سار فى
طريق السياسة الرشيدة ، وأظهر فى الخطابات
التي قرأناها لك أنه لا يريد ، بأية حال ، أن
يدين بعرشه لتدخل الهي أنت أداته .
(جان تلتفت نحو شارل ، قلقة . شارل يقول
بكل بساطة .)

شـارل : ضحى نفسك فى مكانى ! اذا كان لابد من معجزة لكى أنصب ملكا على فرنسا ، اذن لكان من غير الطبيعي أن أكون ملكا . معنى ذلك أنى لست ابنا حقيقيا لأبى ، والا لتم تنصيبي من ذات نفسه . كل الملوك من أسرتي قد نصبوا دون حاجة الى معجزة . العون الالهى مرغوب فيه ، ولكنه مريب ، بالنسبة لشخص لا قوة له الا حقه المقرر . وهو ، بعد ذلك أكثر ريبة حين يتوقف .. فمنذ مسألة باريس التعسة ونحن ننهزم على طول الخط ، وأنت قد أخذت أسيرة فى كومبينيا وها هم أولاء يطبخون لك حكما يعلن أنك ساحرة ، ملحدة ، مرسلة قبل الشيطان ، دون أدنى ريب . أنا أفضل أن يعلن على الملأ أنك لم تكوني قط مرسلة من عند الله بأية حال . وبذلك لا يكون الله قد أعانني ولا هجرني . أنا أتنصرت لأنى كنت الأقوى مؤقتا وأنا الآن أعانى السحق لأنى فى هذه اللحظة أقل قوة . هذه هي السياسة ، وهي سياسة صحيحة . أفهمت ؟

جـان : (بوداعة .) نعم فهمت .

كوشون : أنا سعيد ان أراك فى النهاية ، تثوبين الى عقلك لقد وجهت اليك اسئلة كثيرة ضللت طريقك فى طياتها . والآن سأوجه اليك ثلاثة أسئلة جوهرية ، فاجيبينى بـ « نعم » ثلاث مرات ، وبذلك يصل جميع من هنا الى بر الأمان ، أنت التي ستموتين ونحن الذين سنحكم عليك بالموت .

جان : (بوداعة بعد برهة صمت .) وجه دائما ، وسأرى ما اذا كنت سأستطيع الأجابة .

كوشون : السؤال الأول هو وحده المهم . فاذا أجبت عليه بنعم ، سارت الأخرى من تلقاء نفسها . أنصتى جيدا وزنى كل كلمة « هل تعهدين بكل تواضع للكنيسة الرسولية الرومانية المقدسة والى أبينا البابا المقدس والى المطارنة مهمة تقدير أفعالك والحكم عليها ؟ هل تعترفين بالخضوع التام والكلى وتطلبين أن تعودى الى الدخول فى أحضان الكنيسة ؟ » يكفى أن تقولى نعم .
(بعد برهة صمت ، تنظر جان فيما حولها ، وهى مبلبلة الفكر .)

جـان : نعم • ولكن •••

المفتش : (بصوت مكتوم ، من مكانه •) دون « لكن » يا جان ! •••

جـان : (تعود الى التحفظ •) لا أريد أن أضطر الى أن أقول كلاما يناقض ما قالت لي الأصوات • لا أريد أن أجبر على الشهادة ضد ملكى ، على أن أقول شيئا يقلل من بهاء تتويجه الذى أصبح منذ الآن حقا له الى الأبد •••
(المفتش يهز كتفيه •)

المفتش : انصتوا ، الانسان ! لا توجد الا طريقة واحدة لاسكاته •••

كوشـون : (ينفجر بالغيظ هو الآخر •)
وبعد ! أأنت مجنونة ، يا جان ؟ •
ألا ترين هذا الرجل المتدثر بالثياب الحمر الذى ينتظرك ؟ مع ذلك يجب أن تفهمي أن هذه آخر حركة عطف منى نحوك ،وأنى لن أستطيع غيرها• الكنيسة لا تزال تريد الأعتقاد بأنك بنت من بناتها • وقد بذلت كل عناية فى وزن صيغة سؤالها حتى تيسر لك الطريق ، وانت تماحكين وتفاصلين • ليس لك ان تفاصلى مع أمك

الكنيسة ، أيتها الفتاة الوقحة ! يجب ان تتوسلي
جاثية على قدميك لكى تحيطك بدثارها وتحميك
أما العقاب الذى ستفرضه عليك،فانك ستقدمينه
الى الله ، مع الجور ، اذا اعتبرت ان هناك جورا
لقد تألم سيدنا أكثر منك ، ومن أجلك وسط
اذلال آلامه وجورها . فهل فاصل ، هل ماحك
حينما رأى أن يموت من أجلك ؟ انك لم تبلغى
شأوه ، من الصفعات ، الى البصق فى الوجه ،
الى تاج الشوك ، الى الاحتضار الطويل بين
اللصين ، لن يتأتى لك ابداً أن تلحقى به ! بل
كل ما يطلبه منك بلساننا هو ان تخضعى لحكم
الكنيسة ، وأنت تترددين ؟ .

جـان : (بوداعة، بعد برهة صمت ،والدموع فى عينيها .)
عفوا ، يا سيدى ، لم أكن قد فكرت أنه يمكن
لسيدنا أن يريد ذلك . نعم ، انه قد عانى أكثر
مما عانيت .
(برهة قصيرة اخرى من الصمت وتقـول .)
خضعت .

كوشـون : هل تتوسلين بكل تواضع ، ودون أى تحفظ ،
الى الكنيسة الكاثوليكية المقدسة ان تستردك
بين أحضانها وهل تخضعين لحكمها ؟ .

جـان : أتوسل بكل تواضـع الى أمنا الكنيسـة أن تستردنى بين أحضانها ، وأخضع لحكمها ...

كوشـون : (يتنفس الصعداء .) الآن سيكون حسن ، يا جان . ما تبقى بسيطا . هل تعدين بالعدول الى الأبد عن حمل السلاح ؟ .

جـان : ذلك أنه لا يزال هناك كفاح ...

كوشـون : الكفاح ، كما تسمينه ، سيقوم به آخرون ! لا تكوني غبية ، يا جان . أنت مغلولة ، أسيرة ، وخطر الاحراق يتهددك من كل جانب . على كل حال أنت تحسين ذلك ، وسواء أقلت نعم أم قلت لا ، فان هذا الكفاح لم يعد أمره اليك . أنتهيت من تمثيل دورك . والانجليـز الذين يملكون زمامك لن يدعوك تقاتلين . سبق أن قلت لنا منذ قليل أنه حينما تستحوز الفتاة على خردلة من حسن التقدير ، فان الله هو الذى يصنع المعجزة . فاذا كان الله يحميك ، فهذه هى لحظته ينزل عليك فيها خردلة من حسـن التقدير . هل تعدين بأن تعدلى الى الأبد عن حمل السلاح ؟

جـــان : (تئن •) واذا كان ملكى لا يزال فى حاجة الي ؟

شـــارل : (بتلهف •) هو هو ! هو ••• اذا كان ذلك من أجلي ، ففي وسعك أن تقولي نعم على الفور • لست فى حاجة اليك •

جـــان : (بصوت مكتوم •) اذن ، نعم •

كوشـــون : هل تعدين بأن تعدلى الى الأبد عن لبس هذه الملابس التىتتنافى وكل قوانيناللياقة والتواضع المسيحى ، ملابس الرجال الوقحة هذه ؟

جـــان : (وقد ملت هذا السؤال •) لقد وجهت الي هذا السؤال عشر مرات • الملابس ليست شيئا ذا بال • انها الأصوات التي أوصتني بلبسها •

لدعي : (يعوى •)
انه الشيطان ! من غير الشيطان كان فى وسعه أن يحفز فتاة الى خدش الحياء على هذا النحو ؟

جـــان : (بوداعه •) لكن ، حسن التقدير ، يا سيدى •

المدعي : (ساخرا .) حسن التقدير ؟ انه معك يجب أن يكون عريض الظهر ، حسن التقدير هذا . حسن التقدير ، معناه فتاة بسروال ؟

جان : بكل تأكيد ، يا سيدى . كان علي أن أمتطى الجواد مع الجنود ، حتى لا يظنوا أنى فتاة ، حتى لا يروا في الا جنديا مثلهم ، كان لا بد لي أن أرتدى لباسهم .

المدعي : جواب سيىء ! لا يمكن لبنت لم يقدر عليها الفساد من قبل أن تذهب للتهريج مع الجنود .

كوشون : لنسلم أن هذه الملابس كانت مفيدة في الحرب ، فلماذا ترفضين دائما أن ترجعى الى ملابس جنسك ، منذ أن جئنا بك ها هنا ، منذ كففت عن القتال ؟ .

جان : لم أكن أستطيع ذلك .

كوشون : لماذا ؟

جان : (تتردد قليلا ، ثم تقول وقد احمر وجهها خجلا .) لو كنت في سجن الكنيسة ، لقبلت .

المدعي : ترى جيدا ، يا مولاى ، أن هذه الفتاة تكابر ، تلعب بعقولنا • لماذا كنت تقبلين في سجن الكنيسة ، وترفضين في السجن الذى أنت فيه ؟ انا لم أفهم شيئا ، أريد أن أفهم ! ••

جان : (تبتسم بحزن •) ومع ذلك فان ذلك لا يستعصى على الفهم ، يا سيدى • لا يحتاج فهمه الى أن يكون المرء من كبار رجال اللاهوت !

المدعي : (خارجا عن طوره •) ذلك لا يستعصى على الفهم ، وأنا لا أفهمه لأنى غبى ، فى أغلب الظن ؟ سجلوا ، أيها السادة ،سجلوا أنها تسبنى في أثناء تأديتى لوظيفتي ! انها انها تجعل من عدم حيائها مجدا من أمجادها وتتمشدق مفتخرة به ، انها تحس فيه لا أدرى أى نوع من المتعة الفاجرة ! •• اذا كانت تخضع للكنيسة فيما هو جوهرى ، كما يبدو انها تريد ذلك بعد المجهودات الأخيرة التي بذلها مولاى المطران ، فقد يكون من اللازم أن أتخلى عن اتهامي الأساسي لها بالالحاد ، ولكن ما دامت ترفض التخلى عن هذه الملابس الشيطانية ، فانى مهما كان الضغط الذى يمكن أن يباشر علي بقصد

تجنيبها مصيرها ، هذا الضغط الذى أحس أنه يسود هذه المناقشات ، لن أعدل عن اتهامي الجوهرى الثاني ، وهو السحر ، ما دامت ترتدى لباس العار والرذيلة هذا ! واذا لزم الأمر فسأستأنف أمام مجلس بازل المقدس ! الشيطان هنا ، أيها السادة ، الشيطان هنا ! انى أحس وجوده الرهيب ! وهو الذى يملى عليها أن ترفض نزع لباس الرجال هذا ، وليس هناك أدنى شك فيما أقول .

جان : ضعونى في سجن الكنيسة ، وسأنزع عنى هذه الملابس .

المدعي : ليس لك أن تفاصلى مع الكنيسة ، يا جان ! وهذا ما قاله لك مولاى على كل حال ، اما أن تتركي هذه الملابس ، واما أن يحكم عليك بالسحر والاحراق .

كوشون : اذا كنت تسلمين بالمبدأ ، فلماذا لا تريدين ترك هذه الملابس فى السجن الذى تنزلينه الآن ؟ .

جان : (تهمس ، حمراء من الخجل .) لست فيه وحدى .

المدعي : (يعوى •) واذن ؟ •

جـــان : هناك جنديان انجليزيان يقومان بالحراسة ليلا ونهارا معى في الزنزانة •

المدعي : (يعوى •) وماذا فى ذلك ؟ (برهـــة صمت ، جان يحمر وجهها خجلا أيضـــا ولا تجيب •) أتستجيبين أم لا ؟ كنتأظن الشيطان أخبث من ذلك ! أنا لا أستطيع الآن أن اقدم له اعجابي ! تحسين أنك وقعت في الشرك ، اليس كذلك ، يا بنتي ؟ ها أنت ذى وقد أحمر خداك عارا ! •

كوشـــون : (بلطف •) الآن ، يجب أن تجيبي ، يا جان • أعتقد أنى أفهم مـــا تريدين ، ولكن يجب أن تكونى أنت التى تجيبين •

جـــان : (بعد فترة قصيرة من التردد •) الليل طويل • وأنا مشدودة الوثاق • أبذل كل جهدى في ألا أنام ، ولكن أحيانا ، يغلبنى التعب •• (تتوقف وقد زاد وجهها احمرارا •)

المدعي : (يزداد شوقا الى الرذيلة •) وماذا فى ذلك ؟ الليل طويل ، وأنت مشدودة الوثاق ، وترغبين فى النوم •• وماذا فى ذلك ؟ •

جـان : (بوداعة •) بهذه الملابس ، أحسن الدفاع عن نفسى •

كوشـون : (يسأل بصوت مكتوم) • وهل كان عليك آن تدافعى عن نفسك بهذه الصـورة منذ بدايـة القضية ؟

جـان : منذ قبض على ، يا سيدى ــ وفي كل ليلـة • بمجرد أن تبعثوا بي الى هناك ، فى المساء ، تبدأ اللعبة • وقد تعودت على ألا أنام • وهذا هو السبب فى أنى أجدنى فى بعض الأحيان ، حين أقاد أمامكم في صباح الغد ، أجيب اجابات خرقاء • ولكن الليالي كلها طويلة ، وهم أقويا خبثاء • ويتحتم على أن أكافح كفاحا مرا • ولكن لو كنت ألبس الفستان •• (تتوقف •)

كوشـون : لماذا لا تنادين الضابط ، لكى يمكن الـدفاع عنك ؟

جـان : (بعد فترة ، بصوت مكتوم •) قالوا لي انهم سيشنقون اذا ناديت ••

واريك : هذا كريه ! هذا كريه ! في الجيش الفرنسى

يمكن التسامح فيه .. أما في الجيش الانجليزى فلا . سأشدد الرقابة على ذلك .

كوشـون : (بلطف .) ارجعي الى أحضان أمك الكنيسة ، يا جان ، عودى الى ملابس النساء ، ومنذ الآن ، الكنيسة هي التي ستحميك . لن تضطرى بعد الى الكفاح المر ، أنا أعدك بذلك .

جـان : اذن ، أقبل .

كوشـون : (يزفر زفرة عميقة .) حسن جدا . شكرا لك ، يا جان ، أن ساعدتنى . لقد خشيت في لحظة ما ألا أستطيع انقاذك . سنقرأ عليك وثيقة الجحود ، انها جاهزة ، وليس عليك الا أن توقعى عليها .

جـان : أنا لا أعرف الكتابة .

كوشـون : سترسمين صليبا . أيسمح لى سيدى المفتش بأن أدعو الأخ لادفنو ليقرأ الوثيقة ؟ كنت قد طلبت اليه أن يحررها . هذا الى أنه ينبغى أن نكون الآن بتمامنا ، للنطق بالحكم ، ما دامت جان قد عادت الينا . (يميل نحوه .) لا بد أن تكون راضيا ، فقد قال الانسان « نعم » .

المفتشـــس : (يطبع ابتسامة باهتة على شفتيه الرقيقتين •)
انى أنتظر النهاية •
(كوشون يذهب الى القاع وينـادى أحـد الحرس •)

كوشـــون : ناد الأخ لادفنو ! •

المدعي : (يذهب الى المفتش ويكلمه بصوت منخفض•)
سيدى المفتش ، انك لن تقبل ارتكاب مثل هذا العمل ؟

المفتشـــس : (باشارة مبهمة •) اذا كانت قد قالت « نعم » •

المدعي : مولاى المطران قاد هذه المناقشات بنوع مـن التسامح تجاه هذه الفتاة لم أستطيع أن أفهمه ! ومع ذلك ، فأنا أعرف من مصدر وثيق أنه يأكل على مائدة الانجليز • فهل هو يأكل أكثر من ذلك على مائدة الفرنسيين ؟ هذا هو السؤال الذى أوجهه لنفسى •

المفتشـــس : (يبتسم •) أما أنا ، يا سيدى المدعي ، فلا أوجهه لنفسى • فالمســـألة ليست مسألة مأكل ومشرب انها أخطر من ذلك • (يجثو على ركبتيه فجأة ناسيا الآخـــر •) يا ربى ، لقد شئت فى

اللحظة الأخيرة أن يخضع الانســان ويذل في شخص هذه الفتاة . لقد شئت له ، في هذه المرة، أن يقول « نعم » . فلماذا شئت في نفس الوقت أن تولد رحمة غير مصرح بها في قلب هذا الرجل الهرم الذى أبلته حياة المصالحة التى حكم عليها بمقتضاها ؟ ألن تشاء اذن أبدا ، يــا ربى ، أن يتخلص هذا العالم من كل أثر للانسانية ، لكى نستطيع أن نقصره على تمجيدك ، في سلام ؟
(الأخ لادفنو تقدم .)

كوشــون : يا أخ لادفنو ، جان أنقذت . قبلت أن تئــوب الى أحضان أمنا الكنيسة . اقرأ وثيقة الجحود ، وستقوم بتوقيعها .

لادفنــو : شكرا ، يا جان . لقد صليت من أجلك طــوال هذا الوقت . (يقرأ .)

« أنا ، جان ، المشهورة بالعذراء ، أعترف بأني ارتكبت خطيئة الكبرياء والعناد والمكر بادعائي أني تلقيت تعليمات مــن الله بلسان ملائكتــه وقديسيه المقربين . أعترف أنى جدفت بارتدائي لباسا غير متواضع ضد اللياقة التــى تجــدر بجنسى وضد قوانين أمنا الكنيسة ، وأني قمت

عن طريق السحر باثارة رجـال لقتـل بعضهم بعضا • أستنكر وأجحد كل هذه الخطايا وأقسم بالأناجيل المقدسة أن أعدل الى الأبد عن ارتداء هذا اللباس الالحادى وألا أعـود الى حمـل السلاح • وأعلن خضوعى الذليل للكنيسـة أمنا المقدسة وأبينا المقدس بابا روما ومطارنته لكى يقدروا خطاياى وأخطائي • وأتوسل اليها أن تتقبلنى بين أحضانها واعلن أنى على استعداد لتقبل الحكم التى يطيب لها أن تحكم على به • وبناء عليه وقعت باسمي على عقد الأستنكار هذا الذى أقرر أنى أحطت به علما » •

جـان : (التى لم تعد الا فتاة حائرة مرتبكه •) أأرسم دائرة أم صليبا•أنا لا أعرف كيف أكتب أسمى•

لادفنـو : سأمسك بيدك • (يساعدها على التوقيع •)

كوشـون : هكذا ، يا جان • ان أمـك في عيد أن تـراك رجعت اليها • وأنت تعرفين أنها تبتهج بالشاة الضالة أكثر مما تبتهج بالتسـع والتسـعين الأخريات •• أنقذت روحك ، ولن يسلم جسمك للجلاد • وسنكتفى بالحكم عليك ، اعتـدالا وفضلا ، بقضاء ما تبقى من حياتك في السجن،

تكفيرا عن أخطائك ، حيث تعيشين على خبـز
الألم ومـاء الندم لكى تستطيعي التوبـة عن
طريق التأمل الانفرادى ، ولقـاء لذلـك نعلن
نجاتك من خطر الحرمان الذى كنت قد وقعت
فيه • والآن تستطيعين الذهاب فى سـلام •
(يرسم علامة الصليب ، مباركا اياها •) خذوها !
(الجنود يسحبون جان الجميع يقفون ، ويأخذون
فى الثرثرة فى مجموعات صـغيرة ، جو نهايـة
الجلسة •)

واريك : (يقترب ، وهو ينشق وردته •)
حسن ، يا مـولاى • مـرت بى لحظات كنت
أتساءل خلالها أى نزوة غريبة كانت تدفعـك
الى انقاذ هذه الفتاة ، مهما كان الثمن •• وعما
اذا لم تكن ميالا الى خيانة ملكك بعض الشىء •

كوشـون : أى ملك ، يا مولاى ؟ •

واريك : (يتعاظم بعض الشيء •) قلت ملكك • وليس
لك الا مليك واحد ، على ما أظن ؟ نعم ، كنت
أخشى أن تضيع أموال جلالته سدى بسببك •
ثم فكرت : فوجدت أن الاستنكار يكفينا ببراح
كثير للحط من قدر شارل الصغير • بل ان ذلك

يمتاز بأنه يجنبنا نتائج الاستشهاد التى لا يمكن أن يقدر مداها انسان ، مع ما يتسم به الشعب في الوقت الحاضر من عاطفية خارقة . فالنــار ووسطهاهذه الفتاة الصغيرة التى لا تلين ،تتسم بشىء من سيما النصر بالنسبة للجانب الفرنسى في القضية . أما الاستنكار فحالة تدعو الــى الرثاء بالنسبة لصاحبه . وهذا يكفينا .

(جميع الأشخاص انسحبوا . الاضاءه تتغير . ترى جان تعبر ف القاع يقودها أحد الحراس الى السجن . أشخاص مشينون يتسللون خفيــة لانتظارها فى طريق عبورها .)

أنييس : (تتقدم) . جان ، جان ، عزيزتي ، أنــت ! تعرفين مبلغ سرورنا لهذا النجاح ! تهاني الحارة

الملكة يولاند : كان من العبث المطلق أن تموتى ، ياصغيرتى جان، يجب أن يكون ما يفعله الانسان فى حياته ناجعا مفيدا ... فأنا ، لا أشك فى أن الناس يحكمون على موقفى أحكاما مختلفة ، ولكنى ، علــى الأقل ، لم أقم بعمل غير ناجع .

أنييس : ذلك مالا أدرى كيف أصفه ! فأنا أحب المحاكمات السياسية حبا جما ، وأطلب دائما من شارل أن

يحتجز لى مكانا فيها ، لا شيء أكثر اثارة من
مشهد انسان يدافع عن رأسه ... كنت طول
الوقت أقول فى نفسى ، هذا ما لا أستطيع
وصفه ! هذه الجوهرة الصغيرة التى تقدم نفسها
للقتل من أجل لا شيء . (تتعلق بذراع شارل .)
أتعرفين ياجان ، أن الحياة شيء لذيذ جدا ! ...

شارل : نعم ، الحقيقة أنى كنت كلما رأيتك على وشك
أن تضيعى كل شيء بسببي ـ كنت أشعر
بالاشفاق ، بكل تأكيد ، ولكن لم أعرف كيف
أفهمك أنك تسيرين فى طريق الخطأ ... فأولا ،
كنت بطبيعة الحال ، قد أخذت احتياطاتى ، بناء
على نصائح كبير المطارنة ، هذا الثعلب العجوز ،
فى ذلك الخطاب الذى بعثت به الى مدنى العريقة
أستنكر فيه موقفك ، ولكنى ، بوجه خاص ،
لا أحب أن يحبنى أحد . فهذا يخلق للمرء
التزامات . ولا شيء أبغض عندى من الالتزامات .
(جان لا تنظر اليهم ، بل تصغى الى ثرثرتهم دون
أن تظهر أنها تراهم ، وفجأة تقول بوداعة .)

جان : اعتنوا بشارل . لا بد أن يتحلى دائما بالشجاعة .

أنييس : بكل تأكيد ، أيتها البلهاء . أنا أعمل فى نفس الاتجاه الذى تعملين فيه . أتظنين أنى أرغب فى أن اكون عشيقة ملك صغير تتوالى عليه الهزائم ؟ سترين كيف سأجعل من صغيرى شارل ملكا عظيما دون أن ادفع بنفسى ، أنا ، الى الحريق من أجله ...(تضيف بصوت منخفض . من المؤسف أن أقول لك ، ياجانو ، ولكن لماذ لا نقول ان الله هو الذى أراد ذلك حينما خلق الرجال والنساء ؟ — أريد أن أقول أنني بالمناظر الصغيرة التى ألعبها معه فى السرير ، أستطعت أن أحصل منه على مثل ما حصلت أنت .

جـان : (تهمس .) مسكين شارل ...

أنييس : لماذا مسكين ؟ انه سعيد جدا ، ككل الأنانيين ، وسيصبح ملكا عظيما جدا بالرغم من كل هذا .

الملكة بولاند : نحن نسهر على ذلك ، ياجان ، بوسائل أخرى غير وسائلك ، ولكنها ناجعة مثلها .

أنييس : (باشارة الى الملكة الصغيرة) ..
حتى صاحبة الجلالة الصغيرة ، أليس كذلك ؟ التي منحته ولدا آخر . هذا كل ما تستطيع أن

تعمله ، ولكنها تعمله على أحسن وجه • وعلى هذا لو مات الأول بقينا على اطمئناننا • وراثة العرش مضمونة • وهكذا ترين أنك تتركين كل شيء مدبرا فى بلاط فرنسا •

شارل : (الذى عطس •) أنذهب ، يا حبيبتي ؟ انى اكره جو السجون ، ياله من جو رطب ! الى اللقاء ياجان ، سنأتى لزيارتك بعض الوقت من حين لحين •

جان : الى اللقاء ، ياشارل •

شارل : (مغيظا •) الى اللقاء ، الى اللقاء ••• على كل حال اذا رجعت الى القصر ، فانه يتحتم عليك أن تنادينى الآن ، مولاى ، كما يفعل الجميع • فأنا حريص على ذلك منذ أن توجت • لاتريموى نفسه يفعل ذلك • هذا نصر عظيم • ! (يخرجون خببا ، ويسمع حفيف الفساتين •)

جان : (تتمتم •) أنا مسرورة لأنى ، على الأقل ، حصلت لك على هذا • (تستأنف المشى • الحارس يقودها حتى الكرسى دون المساند المخصص لها الاضاءة تتغير ثانية • هي الآن وحدها فى السجن •)

جـان : (وحدها •) مولاى الملاك ميكائيل ، سيدتىّ كاترين ومرجريت • ألم تعودوا اذن تكلمونني ؟ لماذا تركتمونى وحدى منذ أن أسرنى الانجليز ؟ لقد كنتم معى لتقودونى الى النصر، ولكنى كنت أحوج اليكم فى وقت الشدة • أعرف أنه من أسهل الامور على الله أن يأخذ بيد الانسان دائما ــ فى هذه الحالة أين يكون نصيب الاستحقاق ؟ لقد أخذ بيدى فى البداية لأني كنت لا أزال صغيرة،أما بعد ذلك فقد ارتأى أنى كبرت بما فيه الكفاية ولكنى حتى الآن يا الهي، لم أصبح كبيرة جدا ولم يكن من اليسير أن يرى المرء رأيا واضحا فى كل ما كان يقوله المطران •• أما مع الكاهن الشرير ، فقد كان الأمر فى غاية اليسر ، كان يحلو لى أن أسيىء أجابته ، لا لشىء الا لأغاظته ، لكن المطران كان يتكلم بلطف ، وقد بدا لى أكثر من مرة أنه هو الذى كان على حق • أغلب الظن أن هذه مشيئتك ، ياالهى ، ثم انى أيضا خفت من شدة الألم حين أخبرني ذلك الرجل أنه حتى لن يستطيع أن يخنقنى • أغلب الظن أنك شئت لى أن أعيش ؟ (برهة

صمت . يبدو أنها تنتظر جوابا ، وعيناها الى
السماء .) طيب ، يجب أن أجيب أنا وحدى
على هذا السؤال أيضا . (برهة . تضيف .)
بعد طول التفكير لعلى لم أكن الا فتاة أصابها
الغرور ؟ وقد أكون أنا التى اخترعت كل هذا ؟
على كل حال لا بد أن يكون من الخير أيضا ،
أن يجد الانسان نفسه فى سلام ، وأن تزول عن
كل كاهلة كل مسئولية، وأن يصبح مجرد هيكل
يجره ، بكل مسكنه ، من يوم ليوم ... (برهة
صمت أخرى ، تتمتم .) لا بد أنها كانت فوق
طاقتى ، كل هذه القصة ... وتسقط فجأة
منتحية على كرسيها . (واريك يدخل فجأة
مسبوقا بحارس لا يلبث أن يتركهما وحدهما
يتوقف ، ينظر الى جان بدهشة .)

واريك : أتبكين ؟

جان : (تنهض .) لا ، ياسيدى .

واريك : وأنا الذى جئت لتهنئتك ! نتيجة موفقة ، فى
الواقع ، لهذه المحاكمة . كنت أقول لكوشون
أنى جد سعيد لنجاتك من النار . لأننا اذا
غضضنا النظر عن عطفى الشخصى عليك فاني
أعتقد أن مصلحتنا جميعا أن جنبناك الاستشهاد.

ذلك لان الآلام التى يعانيها المرء وسط النيران النار شنيعة • والآلام ، بالتأكيد ، شيء غير مفيد ، شيء غير أنيق • لذلك أهنئك من صميم قلبى • فبالرغم من أصلك المتواضع ، كانت ردودك رائعة • والحقيقة أن النبيل على استعداد دائما للموت من أجل شرفه أو من أجل مليكة ، أما أفراد الشعب صغار الشأن، فانهم هم وحدهم الذى يقومون على الموت دون هدف • ثم كانت طريقتك فى محاورة هذا المفتش ومداورته تسلينى جدا • ذلك المخلوق التعس ! هؤلاء المثقفون هم أبغض الناس عندى فى هذا العالم ، أولئك الأشخاص الذين لا قوام لهم • يالهم من حيوانات مقززة ! هل أنت حقيقة عذراء ؟

جان : نعم •

واريك : نعم ، هذا ما لا شك فيه • لم يكن فى مقدور امرأة أن تتكلم كما تكلمت • فخطيبتى فى انجلتره التي هي فتاة طاهرة جدا تفكر هى الأخرى كما لو كانت شابا • أتعرفين أن هناك مثلا هنديا يقول ، ان البنت تستطيع المشى على الماء ؟ (يضحك قليلا •) عندما تصبح ليدى واريك

سنرى ما اذا كانت ستستمر على ذلك ! انها حالة فضل أن تكون الواحدة عذراء . الحقيقة أننا نقدس هذا الأمر ، ولكننا ، بكل أسف ، لا نكاد نلتقى بعذراء حتى نسارع بتحويلها الى امرأة ــ ونريد مع ذلك أن تستمر المعجزة ... اننا مجانين . بعد أن تنتهى هذه الحملة ــ أتعشم ألا يمر وقت طويل ــ لا تنسى أن شارلك الصغير هذا يعتبر الآن فى حكم المنتهى ــ أريد أن أذهب الى انجلترة لارتكاب هذا العمل الجنونى . قصر واريك مسكن جميل جدا ، ربما كان مسرفا فى الضخامة ، وربما اتسم بشىء من الصرامة ، ولكنه جميل جدا . وأنا أربى فيه الخيول المطهمة وخطيبتى تجيد الركوب ، أقل منك بطبيعة الحال ، ولكنها تركب جيدا . وغالبا ما نصطاد الثعالب ونقيم الحفلات الجميلة ... أنا آسف جدا . اذا كانت هناك ظروف غير مواتية كثيرة لا تسمح لى بدعوتك (برهة يبدو فيها محرجا ، يختتم كلامه .) وهكذا . لقد حرصت على أن أقوم لك بهذه الزيارة القصيرة من باب المجاملة ، كما يقوم المتنافسان فى احدى المباريات

الرياضية بالمصافحة بعد انتهاء الدور . أتعشم ألا أكون قد ضايقتك .هل رجالى يسلكون معك معك الان سلوكا لائقا ؟

جـــان : نعـــم .

واريك : أغلب الظن أنك ستنقلين الى سجن الكنيسة ، على كل حال بالنسبة للمدة التى بقيت لك هنا لا تترددى أن تخبرينى لدى أول اساءة توجه اليك . وسآمر بشنق هذا الوحش . ليس فى وسعنا أن يكون لنا جيش من السادة ، ولكن يجب أن يكون هذا هدفنا (ينحنى .) سيدتى. (يتجه للخروج ، جان تستدعيه .)

جـــان : مولاى ! ...

واريك : (يستدير .) نعـــم ؟

جـــان : (تسأل دون أن تنظر اليه .) ألم يكـــن مـــن الخير أن أحرق ؟ أليس كذلك ؟

واريك : قلت لك أن الجحود يعنى نفس الشىء بالضبط بالنسبة لحكومة صاحب الجلالة ...

جـــان : لا ، بالنسبة لى ..

واريك : ألم لا جدوى من ورائه • شيء قبيح ، كلا ، في الحقيقة ، لم يكن هذا ليتسم بالخير • بل من السوقية والغباء والشعبية ، كما قلت لك ، أن يقدم الانسان على الموت ، بأى ثمن ، لا لشيء الا ليتحدى العالم ويقذف بالشتائم وهو فوق النيران •

جان : (بوداعة • كما لو كانت تكلم نفسها •) ولكنى أنا من الشعب ، غبية •• ثم ان حياتى ، ليست كحياتك ، مفروشة بالورود ، ناعمة ، مستقيمة المسالك ، بين الحرب والصيد والمتع ، وخطيئتك الجميلة •• أنا ، ماذا يبقى لى حينما أصبح ولست جان ؟

واريك : بطبيعة الحال لن يوفروا لك حياة كلها بهجة ، فى البداية على الأقل ، ولكنك تعرفين أن كل شيء يسوى بمضى الزمن •

جان : (تتمتم •) ولكنى لا أريد للأمور أن تسوى لا أريد أن أحياه ، أن أحيا زمنكم •• (تقف كما ولو كانت من المرضى بالمشى أثناء النوم ، تحدق بعيدا فيما لا ندرى ماذا •) أترى جان وقد عاشت ، والأمور وقد سويت ••• جان

وقد أنقذت ، وربما حل بها الأسن على معاش
صغير فى بلاط فرنسا ؟

واريك : (مغيظا .) ولكنى أقــول لك انه لن تمضى
ست شهور حتى لا يكون هناك شيء اســمه
بلاط فرنسا !

جــان : (تكاد تضحك ، بألم .) جان وقد قبلت كــل
شيء ، وعلا كرشها واصبحت أكــولا ...
جان تتزين بالمساحيق ، تلبس الطرطور ، تتعثر
فى فساتينها ، تهتم بكلبها الصغير أو برجــل
يتبع خطاها ، من يدرى ، جان متزوجة ؟

واريك : ولم لا ؟ لابد دائما من أن نضع لكل شيء نهاية
أنا شخصيا سأتزوج .

جــان : (تصيح فجأة بصوت آخر .) ولكنى لا أريد
أن أضع نهاية ! على أية حال ليست هذه النهاية
لا أريد نهاية لا تنتهى ! ... (تنهض وتنادى
مولاى الملاك مكائيل ! أيتها القديسة مرجريت
أيتها القديسة كاترين ! مهما طال الآن صمتكم

فانى لم أولد الا يوم كلمتمونى • لم أعش الا منذ ذلك اليوم الذى نفذت فيه ما أمرتمونى به وأنا على صهوة الجواد والسيف فى يدى ! هذه وليست تلك ، هى جان ! ليست الأخرى التى ستتورم وتشحب وتهزى فى أعماق الدير — أو تجد عيشها الرخى — بعد أن تنقذ ••• كنت صامتا ، ياالهى ، كان هؤلاء القسس يتكلمون جميعا فى وقت واحد فيختلط كل شىء فى كلماتهم وتعرقل بعضها بعضا • ولكنك لا تصمت الا اذا كنت قد أوليتنا كل ثقتك ، وهذا ما بلغتنى اياه على لسان مولاى الملاك مكائيل • الا اذا كنت قد رأيت ان تتركنا نضطلع بالعبء وحدنا (تنهض شامخة فجأة •) أجل أضطلع به ، ياالهى أحمله على كاهلى ! هاأنذى أرد اليك جان ! مماثلة لنفسها والى الأبد ! ناد جنودك ،ياواريك أمرتك فعجل ! عدلت عن الجحود ، عدلت عن ملابس النساء ، اصبح فى وسعهم أن يستخدموا نارهم ، وأخيرا سيتحقق لهم عيدهم !

واريك : (ضجرا •) دعيك من الحماقات ، أرجوك أنا راض بما كان ، وقد قلت لك ذلك • ثم أولا أنا

استبشع كل أنواع التعذيب • لا أقوى على أن أراك تموتين •

جـــان : يجب أن يكون لك من الشجاعة نصيب ، أيها الغلام الصغير ، أما أنا فنصيبي منها سيكون عظيما (تنظر اليه وهو شاحب الوجه جدا ، تأخذ بكتفيه •) على كل حال أنت لطيف جدا رغم سحنتك الصغيرة التي تحمل معنى الجنتلمانية، ولكن ترى أنه لا فائدة فلسنا من جنس واحد • (تربت له على خده بصورة غير متوقعة وتخرج •) أيها الجنود ! أيها الجنود أنتم أيهـا الجنـود الانجليز أعيدوا الى ملابسي ، ملابس الرجال ، وبعد ان انتهى من ارتداء سراويلي نادوهم ، نادوا جميع القسس !

(خرجت تصيح • واريك يبقى وحده ، يمسح خده ويتمتم •)

واريك : هذا في غير موضعه • سوقي • حقيقة ،لا يستطيع الانسان أن يخالط هؤلاء الفرنسيين •••

(هتافات ضخمة ترتفع فجأة •)

ــ الموت للساحرة !

ــ أحرقو الملحدة !

ــ الى الموت ! الى الموت ! الى الموت !

(جميع الأشخاص يعودون بسرعة ، وهم يتأبطون حزما ويعودون مطالبين بالموت ، يتقدمون، الجلاد الذى يقود جان يساعده جنديان انجليزيان • يتبعهم لادفنو فى غاية الشحوب • كل ذلك يجرى بسرعة وفظاظة كما لو كان الأمر يتعلق باغتيال • الجلاد يساعده أى شخص ، وليكن المدعى مثلا ، ينصب جورة النار بوساطة المقاعد التى توجد على المسرح تدفع جان للصعود عليها ، تربط فى العمود تدق اللافتة الشائنة فوق رأسها • الجمهور يصيح •)

— الى النار ، أيتها الساحرة !

— الى النار ! قصوا شعرها ، عاهرة الجنود !

— الى النار ! الى النار ! أحرقوها !

اريك : (مغيظا •) غباء ! غباء ! أكنا فى حاجة الى كل هذه المسرحية ؟

جان : (تصيح من فوق النصب •) صليب ! صليب بحق الرحمة !

المدعي : لا صليب لساحرة !

جان : أتوسل اليكم ، صليب •

كوشـــون : (للادفنو •) لا دفنو ! الى كنيسة الحى،عدوا !
(لا دفنو يخرج عدوا •)

المدعي : (للمفتش •) هـــذا غير قانونى ! الا تحتـــج ،
يا مولاى المفتش ؟

المفتشـــ : (الذى ينظر الى جان ممتقع الوجه •) بصليب،
من غير صليب ، كل مانرجوه الآن أن تصمت ،
بسرعة أنظر اليها ، كيف تنظر الينا بازدراء ،
وهى فوق النار ولكن ألن ننتصر عليهـــا أبدا ؟

جـــان : (تصيح من جديد •) صليب !
(جندى انجليزى يتناول قطعتين من الخشب
ويثبتهما معا ، ويصيح مخاطبا جان •)

الجنـــدي : خذى ، يابنتى ! انهم يقززوننى ، كل هؤلاء
القسس ان لها الحق فى صليب كغيرها ، هـــذه
البنت !

المدعي : (مندفعا •) انها ملحدة • انهاك ، أيها الرجل !

الجنـــدي : (يبعده بدفعة من يـــده •) أنـــا أبصـــق فى
لحيتك •
(يمد الصليب المرتجل الى جان التى تضمه اليها
بتعطش وتقبله •)

المدعي : (يندفع الى واريك •) مولاى ! يجب القبض على هذا الرجل وأن يحاكم ، هو أيضا ، بتهمة الالحاد • أطلب أن تأمر بالقبض عليه فورا •

واريك : انك تضايقني ، يا سيد • لدى ثمانمائة من مثله، كلهم أكثر الحادا من بعضهم البعض ، وبفضل هؤلاء أحارب •

المفتش : (للجلاد •)
هيا ، أشعل النار ، بسرعة • يجب أن يحيطها الدخان من كل جانب ، حتى لا يعود أحد يراها !
(لواريك •) لا بد من المسارعة • فبعد خمس دقائق يامولاى ، سيصبح الناس جميعا فى جانبها •

واريك : أخشى أن يكون ذلك قد تم بالفعل • (لادفنو يصل مسرعا ومعه صليب •)

المدعي : دون صليب ، يا أخ لادفنو !

كوشون : دعه ، أيها القس ، أمرتك فامتثل !

المدعي : سألجأ الى محكمة روما •

كوشون : الجأ الى الشيطان ، اذا أردت أما الآن فأنا الذى بيدى الأمر هنا •

(كل ذلك يجرى بسرعة وبلبلة وارتجال وعار ، كما لو كان عملية بوليسية •)

المفتش : (يكرر بعصبية وهو يجرى من واحد الى آخر •) يجب العمل بسرعة ! يجب العمل بسرعة ! يجب العمل بسرعة !

لادفنو : (الذى صعد على النصب •) تذرعى بالشجاعة يا جان • كلنا نصلى من أجلك •

جان : شكرا ، يا أخى العزيز • لكن أنزل • فانك تعرض نفسك للحريق ، أنت أيضا •

المفتش : (الذى لم يعد يطيق ، يصيح فى الجلاد •) أنت أيها الرجل ، أنتهى كل شىء ؟

الجلاد : (الذى ينزل •) انتهى الأمر ، يا مولاى • النار مشتعله ، وبعد دقيقتين سيصيبها اللهب •

المفتش : (يتنفس ، وكأنما أزاح عن كاهله حملا ثقيلا •) أخيرا !

كوشون : (يصيح فجأة ، وقد جثا على ركبتيه •) يا الهى ، اغفر لنا!
(يصدر اشارة، فيجثوا الجميع ويبدؤن صلوات

الموتى . المدعى ، وقد بدأ مليئا بالحقد ، يظل واقفا .)

كوشـون : (يصيح فيه .) على ركبتيك ، أيها القس !
(المدعى ينظر نظرة الحيوان المطارد ، يجثو .)

المفتشـ : (الذى لا يجروء على النظر ، يسأل لادفنو الذى يوجد بالقرب منه مادا الصليب الى جان.) أتراها تنظر أمامها فى خط مستقيم .

لادفنـو : أجل ، يا مولاى .

المفتشـ : دون ضعف ؟

لادفنـو : أجل ، يا مولاى .

المفتشـ : (يسأل بألم تقريبا .) وهناك شبه ابتسـامة على شفتيها ، أليس كذلك ؟

لادفنـو : أجل ، يا مولادى .

المفتشـ : (يطأطىء الرأس ، مثقلا ، ويقرر بصـوت مكتوم .) لن أهزمها أبدا .

لادفنـو : (مشرقا مـن فرط الثقة والبهجـة .) كـلا ، يا مولاى !

جـان : (تتمتم وقد بدأت تتململ وتتحرك •) رووان ،
أى رووان ، ستكونين اذن آخر منــزل لي ؟
(تئن فجأة •) يا اله العالمين !

أنيس : (جاثية فى ركن مع شارل والملكتين) • يا لك
من صغيرة مسكينة ، يا جان هذه نهاية الغباء ••
أتظنون أنها قد بدأت تتألم ؟ •

شـارل : (الذى يجفف جبينه وينظر فى اتجاه ، آخر •)
انها لحظة عصيبة عليها أن تجتازها •
(تمتمه صلوات الموتى تغطى على كل شىء •
بودريكور يصل عدوا مبهور الأنفاس ، يصطدم
بكل الناس ، قادما من قاع المسرح أو حتى ربما
من الصالة • يصيح •) :

بودريكور : أوقفوا ! ، أوقفوا ! أوقفوا ! (الجميع ينهضون
تمر فترة من القلق) •

صيحات من بين الجمهور :

ــ ماذا ؟ توقف ماذا ؟ ماذا يريد ؟
ــ ماذا يقول ؟ هذا مجنون ؟

بودريكور : أوف ! وصلت فى الوقت المناسب ! (يصرخ فى كوشون •) لا يمكننا أن ننتهى على هذا النحو، يا مولاى ! لم نلعب دور التتويج كنا قد قلنا اننا سنلعب كل شىء ! ليس ذلك من العدل فى شىء ! من حق جان أن تلعب دور التتويج ، هذا جزء من تاريخها !

كوشون : (مصدوما •) هذا حق ! كنا سنرتكب ما يجافى العدالة ! •

شارل : أترون ؟ كنت واثقا أنهم سينسون تتويجي ! لا أحد مطلقا يفكر فى تتويجي • ومع ذلك فقد كلفني غاليا •

واريك : (منهارا •) التتويج أيضا ! هذه قلة ذوق ! حضورى هذا الأحتفال من غير اللائق، يا مولاى، سأختفى • مهما يكن من شيء ، فقد انتهى الأمر تم احراقها • حكومة صاحب الجلالة أصابت هدفها السياسي • (يخرج) •

كوشون : (يصيح فى الجلاد) • حل النصب ، أيها الرجل ! فك وثاق جان ! أحضروا لها سيفها وعلمها •

(الجميع يندفعون مبتهجين الى النصب والحزم •
شارل الذى بدءوا يلبسونه ملابس التتويج ،
يتقدم نحو الجمهور مبتسما •)

شـــارل : هذا الرجل على حق • النهاية الحقيقية لقصة
جان ، النهاية الحقيقية التى لن تنتهى أبدا ،
النهاية التي لن يكف الناس عن تداولها بعد ان
يكون كل شيء قد نسى واختلطت أسماؤنا
ليست حالة بؤسها ، بؤس الحيوان المطارد فى
رووان ، وانما هى العصفورة المحلقة فى عنان
السماء ، انما هي جان فى رانس محوطة بتمام
مجدها • جان دارك ، قصة تنتهى نهاية جميلة !

بودريكور : (مبتهجا متحمسا ، يرفع الحزم مع الآخرين •)
الحمد لله الذى جعلنى أصل فى الوقت المناسب
البلهاء ، لقد كانوا على وشك احراق جـاز
دارك ! أتتصورون هذا ؟

الأب : (الذى يشترك أيضا فى رفع الحزم مع الأخ •
تقدم وأخرج أصابعك من أنفك ! اتخذ لك
اختك قدوة لك ! انظر اليها • كيف تحتل مَ
الشرف ، كيف يشعر المرء بالفخر أن يكـ

أباها ! ... كنت دائما أقول ان هذه الصغيرة سيكون لها شأن ...

(أقيم ، على عجل ، مذبح بالوسائل التى فى متناول اليد ، مكان نصب الحريق . أجراس مدوية فجأة ، أرغونات . يتكون موكب من شارل وجان متنحية بعض الشىء ، ثم الملكات ولاتريموى ، الخ .
الموكب يبدأ مسيره نحو المذبح .
كل الحضور يجثون . لا تبقى واقفة غير جان مستقيمة العود ، معتمدة على علمها ، تبتسم للسماء ، كما فى الصور . كبير المطارنة يضع التاج على رأس شارل ...

نغمات نصر من الأرغن ، أجراس ، طلقات مدفع طيران حمائم بيضاء ، من الممكن احداث مؤثرات ضوئية تعطى انعكاسات زجاج الشبابيك الملون للكاتدرائية، وتحول الديكور . وينزل الستار ببطء على هذه الصورة الجميلة لكتب جوائز الأطفال .

النهاية

قائمة بمسرحيات جان انوي

مثلت	ألفت	اسم المسرحية
١٩٣٢	(١٩٣١)	السور الأبيض
١٩٣٣	(١٩٢٩)	المندارين
١٩٣٥		كان هناك سجين
١٩٣٧	(١٩٣٦)	المسافر بلا متاع
١٩٣٨	(١٩٣٤)	المتوحشة
١٩٣٩	(١٩٣٩)	ليوكاديا
١٩٤١	(١٩٣٧)	موعد فى سنليس
١٩٤٤	(١٩٤٢)	أنتيجونا
١٩٤٦	(١٩٤٥)	روميو وجانيت
١٩٤٧		الدعوة الى القصر
١٩٤٨		أرديل ، ومعها حكاية من حياة مؤلف
١٩٥٠		التجربة او الحب المعاقب
١٩٥١		كولومب
١٩٥٢		رقصة مصارعى الثيران
١٩٥٣		القبرة
١٩٥٣	(١٩٤٦)	ميديا
١٩٥٤		سيسيل او مدرسة الآباء
١٩٥٥		اورنيفل او تيار الهواء
١٩٥٦		بيتو المسكين أو عشاء الرءوس
١٩٥٩		المخبول او الرجعى العاشق
١٩٥٩		موليرة الصغيرة
١٩٦٠		اعداد تارتوف ، ومعها حلم الناقد
١٩٦١		اعداد ليلة الملوك
١٩٦٢		سوق الخطلف ، ومعها الأوركسترا
١٩٦٤		اعداد لشارل الثالث

مطبعة حكومة الكويت

فى العدد القادم

بـــرج **تأليف : هال پورتر**

تدور أحداث مسرحية البرج فى منتصف القرن التاسع عشر لى أرض « ڤان دايمين » جنوبى قارة استراليا ، وهى ما تسمى ن « بجزيرة تازمانيا » احدى الولايات الست التي تتكون منهـا لة استراليا الفيدرالية . وكانت « ڤان دايمين » كبقية استراليا ستعمرة بريطانية ، اتخـذها المستعمرون منذ عـام ١٧٨٨ منفى سجنا كبيرا الذين لفظهم المجتمع الانجليزى من المجرمين ، ولغير رغوب فيهم سياسيا من الاسكتلنديين والايرلنديين ، والمضطهدين بنيا من الكاثوليك . وفى عام ١٨٤٠ زالت عـن المستعمرة هـذه وصمة ، وفتحت ابوابها لهجرة المدنيين العاديين ، فوفد اليها ألوان تى من طلاب الثروة والباحثين عن المغامرات والافاقين وسكنها هاجرون الجدد مع الذين يقضـون أحكام العقوبة مـن المجرمين لمضطهدين ، وكونوا خليطا عجيبا فى مجتمع جديد .

وشخصيات مسرحية « البرج » بين طغاة قساة القلوب مـن لاب الجاه والثروة وبين ضحايا مجنى عليهم ليسوا ــ بالطبع ــ ستراليين ، ولكنهم انجليز وايرلنديون من مهاجرين أحرار وسجناء فيين التقوا فى « جزيرة تزمانيا » وظروف المسرحية ومكانها وزمانها لمجتمع الخاص الذى دارت فيه أحداثها خلال عوامل تسير بها الى نضج الفني . وقد دفع بها الى النجاح استكمال العناصر الفنية لتكنيك المسرحي فيها ، وحوارها الذى يبعث الرعدة والبرودة فى س القارىء ، فيدل على خروج المسرحية الاستراليه على المذهب طبيعى ولكن العامل الرئيسى فى هذا النجاح هو اهتمامها بدراسة ع من الصراع المرير بين الأرادة والتحكم فى الأسرة .

والمسرحية من نوع الميلودراما وحبكتها صريحة فى حوارها حونة بالوحشية وسط الرعد والبرق والعواصف . لكن اهتمامها حداث القسوة والعنف فى الحكبة أقل بكثير من اهتمامها بدراسة طباع التي تؤثر فى نزعات مختلفة ، وشهوات متعـددة ، وثورات فيس مضطرمة حينا ومستترة كامنـة حينا آخر . والحقيقـة أهم لحظاتها المؤثرة ليست تلك التي يحدث فيها القتل أو العنف ، كنها اللحظة التي تقال فيها كلمات قليلة بسيطة قبل اللحظة التى د الى العنف . وتلك علامة أخرى على اتجاه المسرحية الاسترالية و الكمال الفنى .

فى هذا العدد

القبرة : (چان دارك) **تأليف : جان آنوى**

قصة جان دارك معروفة . ريفية بسيطة رأت وطنها حرما مستباحا للغزاة الاجانب فهبت تعلن فى وقار وشموخ وعزم وايمان انها مبعوثة العناية الالهية لتطهير وطنها من دنس الاحتلال والاستعباد، ولتتويج ولي عهد فرنسا الضعيف المتخاذل ملكا شرعيا على شعبه . واستطاعت بقوة الايمان أن تفرض نفسها على القواد وعلى ولي العهد نفسه ، فوضعها على رأس كتيبة من جنده قهرت بها العدو — ولما أخذت طلائع النصر الكامل تبدو أكيده تخلى عنها الاقوياء وأسلموها للعدو الذى قضى عليها بالاعدام حرقا بالنار . وكان فى وسعها أن تنجو منها ، لولا ان نفسها أبت أن تنكر نفسها .

أضفى آنوى على القصة من فنه الخاص ما جعلها احدى الروائع : نبل التفسير وعمقه ، وسرعة الحركة ، والسيطرة التامة على قوانين المسرح الصارمة ، وذلك الحوار الذى يجمع بين السمو والألفة والذى يصعد بنا تارة حتى لنطل على عظمة ذلك الكائن الذى كرمه أحسن الخالقين ، وكأنه يناشدنا أن نتشبث بهذا الذى هو من عجينته ومعدنه . وينزل بنا تارة أخرى حتى يطلعنا على نقص الانسان الذى خلق من ماء مهين ، وكأنه يحذرنا من الهبوط الى هذا الدرك . وقد سار آنوى فى ذلك على نهج من الفن المسرحي لا يستطيعه سواه .

السعر : ١٠٠ فلس أو ما يعادلها

مطبعة حكومة الكويت